ديوان السليمانيات

(مجموعة شعرية)

الصعيد مَهدُ المَجد والسّعد

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الصعيد مَهدُ المَجد والسَّعد!

(إنه بالدراسة الاستقرائية لبيئة الصعيد تبين أنها أرضُ المجد والسعد!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

(الصعايدة وصلوا! 1)

(كلمة (الصعايدة) تعتبر جمعاً عامياً دارجاً مصطباوياً يجري على ألسنة الناس ، والأصل أن كلمة صعيدي مفردة تجمع على (صعيديون) مثل كلمة (عميدي) التي تجمع على (عميديون). ولكنني تعمدت أن أجعل عنوان قصيدتي بهذا الجمع العامي ، لأثبت لصاحبه الضال المضل أن أهل الصعيد قد وصلوا منذ زمن بعيد للقمة في العلم وللذروة في الأدب وللذؤابة في كل خلق كريم. (أعني الغالب الأعم من أهل الصعيد). ثم أن هناك أعمالاً فنية جاهلية تحمل العنوان ذاته! والساخرون والمستهزئون يرددون ذات العنوان: (واحد صعيدي فعل كذا وكذا ، أو واحد من بلدياتنا فعل كذا أو ترك كذا)! إنني لم أكتب (الصعايدة وصلوا) من باب السخرية من أهل الصعيد الكرام الذين أنا ابن من أبنائهم فقط ، أكِنّ لهم كل الاحترام والاعتزاز والتقدير. إنني أكتب (الصعايدة وصلوا) لتكون شاهداً على هذا العصر الذي نعيش فيه. ولأفهم من يتطاولون على أهل الصعيد الشم المغاوير الصِّيد الأشاوس أن من يتطاول على مثل هؤلاء ليس له عندي إلا هذه القصيدة النجلاء الشافية الكافية التي لا أعلم لها في ظني واعتقادي واجتهادي نظيراً في الانتصار لقوم قد افتُرى عليهم ، وظلموا ظلماً كبيراً. إن الصعيد أرض كريمة مشرفة قد أنجبت المغاوير ولا يشك منصف محايد في هذا الكلام. وقد رجعتُ إلى التاريخ في أكثر من مرجع وبحث في القديم والحديث فألفيتُ أهلي أهل الصعيد أهل كرم وعلم ونجابة وعراقة وأدب. وقد أسهموا بكل ما آتاهم الله من علم وأدب وثقافة وأخلاق وقدرات ومواهب في هذه الحضارة الإنسانية التي يرفل الناس فيها. وكنت أظن أبي يُبالغ إذ يحكي لنا هذا الكلام عن قومه إذ هو رجلٌ صعيدي عندما كان يذكر من مناقب وعلم وثقافة أهل الصعيد ما يعجز القلم عن تصويره! وكنت أسمع منه هذا الكلام وأنا صغير فأقول في نفسي (لعل الوالد يفتخر بقومه وعشيرته وبلاد قد تربى فيها ، فله بكل هؤلاء القوم وتلك الديار تعلق ككل إنسان). فإذا بي أفاجأ بما لم أكن أحتسب بالمرة. إن كلامه عنهم كان أقل من حقيقتهم ، وأراه ما وفاهم حقهم من المدح والثناء. فقلتُ في نفسي: إنه لا بد من رد الصاع صاعين ، وإعادة القوس إلى باريها ووضع الأمر في نصابه ، والشروع في تسطير نص شعري صادق يكون فيه عاطفة صادقة مع الله ، حتى ننتصر لقوم قد بُغي عليهم ، وباتوا في كل صُقع من أصقاع المعمورة محط استهزاء وسخرية من جرّاء ما يحكيه متندرٌ سفيهٌ عنهم ، معرّضاً بهم ونائلاً منهم ، إنْ هو إلا واحدٌ من فريق الصادين عن سبيل الله. واللهِ العظيم إنني أبداً لم أشرع في كتابة قصيدة: (الصعايدة وصلوا) ومن ثم ديوان: (الصعايدة وصلوا) من باب القومية التي أنبذها من كل قلبي فقط. ولكن في المقام الأول لأبين أن انتقاص أهل الصعيد بهذا الوضع الذي نرى ، والنيْل منهم والاستهزاء بهم في كل صُقع ، وجعلهم أضحوكة للناس في المجالس والمسلسلات والمسرحيات والتمثيليات ، وحتى في الكتب (كتب النوادر والنكت والمُلح والفكاهة) ، إن هذه الأشياء وتلك الممارسات في غير محلها. إذ الغالب الأعم من أهل الصعيد هم الجديرون بالاحترام والتقدير والتبجيل. فمن الصعيد خرج الكثير من العلماءُ والأدباءُ والشعراءُ والقراءُ وروادُ الثقافة والفكر والأخلاق والمبادئ. وقد رجعتُ للتاريخ قديمة وحديثة فأدركتُ صدق الذي أذهب إليه. وسوف أدلل على صدق هذي المقولة. ألا وإنني أفتخر كل الافتخار ، وأعتز كل الاعتزاز بأنني واحد من أهل الصعيد. نعم فإنني منحدر منهم ومنتم إليهم. بل وأنتسب إليهم أباً وجداً لأب وعمومة. فوالدي من (سوهاج) وبالتحديد من (الكولة) مركز (أخميم) ومن بيت (خليفة). وإذن فليست نسبتي إليهم نسبة جوفاء ، كما أنها ليست من رجل يدّعي شرفاً ليس يّدركُ منه شيئاً. وإن

كانت أمي من (الدقهلية) من بيت سماحة (وهذه العائلة كذلك لها السؤدد وكرامة الأصل ونبله وسموه) ، في دقهلية مصر الغالية. ولكن لمّا كان المرءُ ينسب لأبيه ، كنتُ صعيدياً لأبي ، أم أننا في زمان عنترة ابن (زبيبة)! حتى ننادَى بالأمهات وننسب لهن؟! وولدتُ في (بورسعيد) (تلك المدينة التي لا أذكر أنني عشت فيها يوماً ، ولي فيها من مقومات الحياة أقلها بداهة: بيت!) بل كان شيء من التزاور للأهل هناك. والحقيقة أن أهل أبي متناثرون في صعيد مصر ، كما أن أهل أمي متناثرون في الوجه البحري. وكنتُ قد درستُ في كلية الآداب (جامعة المنصورة). وتزوجت امرأة من (الدقهلية) لأبيها كذلك والذي هو من (بلقاس). وظللتُ أنا وهي ننتسب إلى (دمياط) مقاماً وسكناً فقط. حيث يقيم والدُ كلٍّ منا! وإنني أقسم - غير حانثٍ - أنه لو لم تكن لي بأهل الصعيد الشم الكرام الأشراف نسبة لتمنيت من أعماق الفؤاد النسبة إليهم والانتماء إليهم. وهذا لما ألمسه منهم في التاريخ والحضارة من أيادٍ بيضاء ومساهماتٍ عظيمةٍ في رصيد الإنسانية ، من الثقافة والعلم والأدب والخلق والقيم. والحمد لله أن أبي كان قد قسم العرب عربين (كما يقول العامة في مصر): فجعل له بيتا هناك في مسقط رأسه (الكولة - أخميم – سوهاج) ، وفي هذا البيت زوجة وأولاد ، كما أنه جعل له في (كفر سعد – دمياط) بيتاً آخر فيه زوجة وأولاد. ومن هنا كانت نسبتي إلى الصعيد حقيقية وليست مدعاة مفتراة. ويؤسفني جداً أن يَنال من أهل الصعيد اليوم نائل ، وأن يسخر منهم ساخر ، وأن يستهزئ منهم مستهزئ. إلا أن أعلام الصعيد في الحقيقة كثيرون لا يحصوْن كثرة. وأنا هنا سوف أستشهد ببعضهم فقط لأدلل كما وعدت على فضلهم وأدبهم ومساهماتهم في رصيد الحضارة الإنسانية والفكر الرصين. فمن أعلام الصعيد: * (صاحب الظلال والمعالم) وأخوه (صاحب جاهلية القرن العشرين) من (موشا – أسيوط) وكفي به شرفاً. والحقيقة أن أرض الصعيد لو لم تنجب وتقدم للبشرية إلا هذين الأخوين لكفاها ذلك! ولا أزكيهما على الله ، وإن مثلي من الأقزام لا يجد من الكلمات ما يصف به هذين العملاقين! بل بات اسم كل منهما وصفاً لصاحبه! * مصطفي لطفي المنفلوطي ، الأديب العملاق من (منفلوط – أسيوط). * أنور الجندي ، الناقد الأدبي العظيم: من (ديروط – أسيوط). * عبد الباسط محمد عبد الصمد ، القارئ الجليل المحترم الذي هو غني عن التعريف. من (أرمنت - قنا) ، وكفي به شرفاً عظيماً يا صعيد مصر. * محمد صديق المنشاوي ، قارئ الصعيد الحبيب الذي قد ذاع صيته ، ليس في مصر فقط بل في العالم كله. من (المنشاة - سوهاج). وإنك حقاً لتستمع إلى القرآن غضاً طرياً نديا في أغلب إذاعات الدنيا وتليفزيوناتها بصوت هذين القارئين (عبد الباسط والمنشاوي) صباح مساء! * عباس محمود العقاد. الكاتب المعروف المشهور أيضاً من صعيد مصر والترجمة الثابتة له ، فهو من أحد أبناء أسوان إحدى مدن جنوب الصعيد. * إبراهيم بن إبراهيم الجناجي ، ذلك المفسر العظيم القدر من فقهاء المالكية المغاوير الكرام من (جناج - جرجا – سوهاج). * أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الأسواني ، ذلك الأديب الفقيه العارف بالهندسة والطب (أسوان وإليها ينسب). * أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي (أبو جعفر) الفقيه الحنفي. من (طحا) ، يعني صعيدي أصيل. * عمر مكرم بن حسين السيوطي الزعيم الشعبي المعروف الذي قاوم الاستعمار ، وثار على الظلم. من أهل (أسيوط). * محمد عبد الجبار الأرمنتي ، المعروف بابن الدويّك ، وهو من أهل (أرمنت - قنا) برع في علم الفلك والنجوم. * محمد بن حسن المصري الجرجاوي المتفقه الأديب ، قاضي القضاه ، المتوفي 1877م ، من (جرجا - سوهاج). *محمد بن أحمد كمال الدين بن ضياء الدين بن القرطبي ، المؤرخ النحرير الدقيق

(قنا). * محمد بن أحمد بن الربيع بن سليمان بن أبي مريم والذي توفي 947م ، الأديب الفقيه الناظم (من أهل أسوان). * على بن أحمد مكرم الصعيدي العدوي ، فقيه مالكي كان شيخ الشيوخ في عصره. من (بني عدي - منفلوط – أسيوط). * على بن أحمد بن يوسف البلصفوري الحسيني ، من أكابر رجال الصحافة في مصر. ولد في بلصفورة - جرجا - سوهاج. * محمد بن محمد بن حامد الجرجاوي المراغي ، المؤرخ الذي فاق في دقتة ومهارته المؤرخين العظام ، والأديب الجليل ، وهو أحد فقهاء المالكية الأزاهرة (من أهل جرجا - سوهاج). * محمد بن مصطفي بن محمد بن عبد المنعم المراغي ، وهو باحث علامة عارف بالتفسير يعتبر من دعاة التجديد ، تولى مشيخة الأزهر. (ولد في المراغة - سوهاج). * الشيخ على يوسف ، الصحفي السياسي المعروف والمتوفي عام 1913م ، وكان قد أصدر جريدة (المؤيد) ودافع فيها عن الإسلام والقيم والأخلاق (من جرجا - سوهاج). * الشاعر المعروف محمد حافظ بن إبراهيم (شاعر النيل) ، من ديروط (أسيوط) توفي عام 1932 م. وإذا كان أمير الشعراء هو قطب الشعر الأول في مصر ، فإن حافظ إبراهيم يعتبر القطب الثاني ، بشهادة التاريخ والنقاد وشوقي نفسه! * الإمام جلال الدين السيوطي ، صاحب (حسن المحاضرة - الإتقان - لباب النقول - المزهر - لباب اللباب - نظم العقيان وغيرها) وهو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين الخضيري الشافعي (ولد في أسيوط وإليها نسب ، وعاش فيها). * شيخنا العلامة على أحمد عبد العال الطهطاوي (رئيس جماعة أهل القرآن والسنة) المولود في نجع حمد - سوهاج. * أحمد حسن الباقوري (وإن كان لا يشرف الصعيد كثيراً ، نظراً للمآخذ التي أخذها عليه علماء ثقات نحارير في زمانه!) ، ولد وعاش في قرية (باقور ، وهي من أعمال أسيوط). * أحمد عبد المجيد هريدي ، مفتي الديار المصرية ، القاضي اللغوي (من مركز ببا ، من أعمال بني سويف). *أحمد عيسى عاشور ، مؤسس مجلة الاعتصام - صاحب الفقه الميسر وغيره من المصنفات التي تشهد لصاحبها بالعلم والفقه (من الشنياب - الجيزة). * أحمد محمد بدوى ، مؤرخ الآثار اللغوي الأديب المعروف ، (من أبو جرج - بني مزار - من أعمال المنيا) صعيد. * جابر أبو حسين ، صاحب سيرة (أبو زيد الهلالي سلامة) وإن كنا لا نتابعه في المخالفات الشرعية من سرد القصة على أنغام الربابة كما هو معروف ، وما قد حوت سيرة (أبو زيد الهلالي) من المخالفات والمبالغات ، ولكن يُشكر للرجل محافظته بصورة أو بأخرى على السيرة الفلكلورية الشعبية كفنّ من الفنون. من (آبار الوقف - أخميم – سوهاج). * جمال الدين أحمد العطيفي ، الإعلامي والكاتب الصحفي الذي يعرفه القاصي والداني ، والرجل الذي سخّر قلمه وأدبه وكلمته للدعوة إلى تطبيق الشريعة في مصر (أبو تيج – أسيوط). * محمد سعاد جلال ، صاحب المجلدات في القياس والسنة وفي علوم الشريعة (من المنيا). * الأستاذ المؤرخ العظيم / محمد الصادق بن إبراهيم عرجون من (إدفو – أسوان) وهو صاحب المؤلفات العظيمة في السيرة والتاريخ ، وأيضاً صاحب المراجع والأسفار في التصور الإسلامي والحياة الأدبية في مصر. * محمد كامل حتة ، الصحفي والكاتب الإسلامي الغيور ، من (إسنا). * محمود حسن إسماعيل (الشاعر المعروف) صاحب الدوواين. ولد في النخيلة من أعمال محافظة أسيوط عام 1910م ، وتوفي عام 1977م في الكويت ، وعاد جثمانه ليدفن في مصر. * محمود عبد الرحمن الأبنودي (أبنود – قنا) وإليها ينسب وهو العالم اللغوي الفقيه صاحب منظومة المواهب في النحو والصرف ، وله قصائد كثيرة مشهورة ، وهو غير الأبنودي المعروف. * صالح شرف ، العالم الفقيه (فقيه المذاهب الأربعة كما كان يلقب) ،

وشيخ علماء الصعيد الذي فاق أقرانه في علمي التوحيد والمنطق ، وصاحب التآليف البديعة فيهما ، وهو من (بني عديات - منفلوط - أسيوط). * محمد أبو الفضل إبراهيم من (جزيرة شندويل - سوهاج) ، وهوالعلامة اللغوي والمؤرخ المحقق المدقق لكتابات التراث ، صاحب المؤلفات العظيمة والمحققه والمدققة والمنقحة. * عبد الرحمن بن محمد بن عوض الجزيري ، صاحب (الفقه على المذاهب الأربعة) ، ويكفيه هذا الكتاب العملاق ، العالم الأزهري النحرير المجدد المفرع على الأزهر من (جزيرة شندويل – وإليها ينسب – وهي من أعمال سوهاج). ومن كتبه: (توضيح العقائد في علم التوحيد والأخلاق الدينية والحكم والشرعية ، وكتاب أدلة اليقين في الرد على المبشرين ، وله ديوان عظيم في الخطب ، يعتبر مرجعاً هاماً. هذا ، وإن تجاوزنا أهل العلم والفضل والأدب هؤلاء ، إلى طبقة العوام والسوقة والدهماء والسواد الأعظم من عوام أهل الصعيد فهم إما بُناة حضارة وعمران ومدنية (بنوها بسواعدهم المباركة) وإما أهل زرع أو رعي أو صيد أو تجارة أو حرف يدوية. وأنا لا أنكر ما في أهل الوجه البحري من الخير والسبق والفضل والعلم والأدب .ولكن الأمر الذي أستهجنه أن ينظر إلى أهل الصعيد على أنهم مضرب المثل في السذاجة والدروشة وضيق الأفق والتخلف. الأمر الذي لا أساس له من الصحة بالدليل الذي أسلفت. وإن وجد عند فئة من أهل الصعيد فيها من هذه المثالب ، فهي فئة قليلة (شأن الصعيد في ذلك شأن كل المجتمعات الأرضية ، فإن كل أرض تحمل فوقها فيمن تحمل الأذكياء والبلهاء والعوان بين ذلك ، كما يشير إلى معنى قريب من ذلك ابن خلدون في مقدمته عند وصف المجتمعات) ، وأن كل ساقط مرذول يقول ليضحك الناس: (واحد من بلدياتنا أو واحد صعيدي فعل كذا ، أو قال كذا) ، ليبيت هذا حكماً عاماً يستغرق أهل الصعيد برُمّتهم ، إنما هذا عبث. ولقد أقسمت أن أسُل كرام أهل الصعيد من ألسنة هؤلاء سلاً كما تسل الشعرة من العجين. أقسمت قسماً لا يقل عن قسم حسان بن ثابت بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يسله من أشعار المشركين الجائرة الظالمة المغرضة كما تسل الشعرة من العجين! انتصاراً للحق وإعادة لشأن قوم ظلموا ، وأنا قادر بإذن ربي على إرجاعه ونصرتهم احتساباً للأجر عند ربي لا أريد سوى هذا. وأدعو شعراء الصعيد أن ينقبوا في كتب التراجم والتراث والرجال ليعرفوا عن أسلافهم وأجدادهم من أشاوس أهل الصعيد ، وبعد أن يعرفوا ذلك ، عليهم أن يؤلفوا المعلقات الصعيدية في الانتصار لأهل الصعيد الأماجد من العلماء والأدباء والسادة الفقهاء والقراء والكتاب الذين جادت بهم أرض الصعيد المباركة. وهو دَيْن في أعناقهم يسألهم الله عنه يوم القيامة. وعليهم أن يعتبروا قصيدتي (الصعايدة وصلوا!) نبراساً لهم ، أو نقطة البدء في الملاحم التي سوف يسطرونها ، أو يجب أن يسطروها عن الصعيد وكرام أهله. ولا أدعي لنفسي العصمة ولا الصدارة ، بل أعني أنني قد بدأت وعليهم أن يكملوا! وأحذر كل متندر ومنكت ومردّد للفكاهات عن الصعيد وأهله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة بنص أحاديث الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وبنص آيات القرآن. ولن يشفع للقوم أنهم إنما قصدوا التندر والضحك واللعب. كما لن يشفع لهم أنهم لم يقصدوا إهانة كرام أهل الصعيد. يقول الله عن هذا الصنف من الناس: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب. قل: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتذروا ، قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين). وإذن فلا يضحك الشيطان على حسنِي النية والقصد ، ويوردهم موارد هؤلاء الذين سلكوا سبيل المنافقين في الكذب على الله وعلى الناس ليُضحكوا الناس وليُفكهوا المجالس بالنيْل من أهل الصعيد. روى أحمد والترمذي ، وصححه الحاكم أن النبي –

صلى الله عليه وسلم - قال: (ويلٌ للذي يُحدث القوم ثم يكذب ليُضحكهم. ويل له ، ويل له). وأيضا روى الإمام أحمد والترمذي ، وقال حسن صحيح أن الصحابة قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – (نعم غير أني لا أقول إلا حقاً). وإذن فالضحك المعقول الذي له ما قد يبرره من المزاحات الصادقة والألغاز البريئة المفيدة والنكات الجادة والطرائف المسلية التي لا تسخر من الآخرين ولا تنقص من شأن كرام الناس ، أرجو أن لا يكون هناك مؤاخذة من الله به. ولقد كان للنبي – صلى الله عليه وسلم - مزاحات وطرائف وألغاز ليس في شيء منها إسفاف ولا سخرية ولا تنقص ولا استهزاء قط وحاشاه – عليه الصلاة والسلام – وكذلك كان أصحابه - رضى الله عنهم -! بل كل الذي نقل عنه وعنهم هو الطهارة والنقاء والصدق واحترام الآخرين. ولو كان الأمر على خلاف ما أدّعي لوجدنا نكات مأثورة عنهم مثل: (واحد بدوي فعل كذا أو عمل كذا) لانتقاص شأن البدو الذين هم من عظماء القوم وعليتهم. ولكن لما لم يؤثر ذلك عن الجيل الأول ، لم يكن مقبولاً قط من الجيل المعاصر!

* إنني لا أعني بمدحى أهل الصعيد الكرام بعض ردئ العادات والتقاليد التي قد درج عليها بعض أهل الصعيد ، من رثيت العادات المخالفة للشريعة من ثأر أو كرهٍ للبنات أو فخر بالعصبيات والقبائل. إنني أعني المؤمنين الموحدين من أهل الصعيد ، الذين قد صاغهم الإيمان بالله صياغة توحيدية وعقدية جديدة. والله لو كان في زماننا هذا عمرو بن كلثوم ، وكان مسلماً وانتسب لأهل الصعيد لأنشد في قومه المؤمنين معلقة تفوق نونيته لأبي هند تلك. ولو كان السموأل بن عادياء حياً (وكان من أهل الصعيد) لأنشد في أهل الصعيد شعراً يفوق ما أنشد في لاميته في الفخر بقومه والتي منها:

إذا سيدٌ منا خلا ، قام سيدٌ قؤولٌ لما قال الكرامُ فعولُ

وما أخمدت نار لنا دون طارق ولا ذمّنا في النازلين نزيل

وأنا اليوم أولى ببيتيْ مهيار الديلمي مفتخراً بقومه ، فأقول: (مفتخراً بالصعيد):

قوميَ استولوا على الدهر فتىً ومشوْا فوق رؤوس الحقب

عمموا بالشمس هاماتهم وبنوا أبياتهم بالشهب

وأنا اليوم أولى ببيت المتنبي في الرد على أهل النكت من الذين يستهزئون بأهل الصعيد:

كم تطلبون لنا عيباً ، فيعجزكم! ويكره الله ما تأتون والكرمُ

وأنا اليوم أولى بما أنشد أبو فراس في قومه الرافضة إذ كان رافضياً خبيثاً مثلهم:

ونحن أناسٌ لا توسط عندنا لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ

تهون علينا - في المعالي - نفوسُنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر

أعـــز بنـــي الـــدنيا وأعلـــى ذوي العُـــلا وأكـــرم مَـــن فـــوق التـــراب ، ولا فخـــر

وأنا اليوم أولى بما أنشد منصور بن الزبرقان بن بدر في قومه مفتخراً بما فيهم من مناقب:

يقولـــــون: بعـــــضُ التـــــذلل عـــــزة وعادتنـــــا أن نـــــدرك العـــــز بـــــالعز

أبـــى الله لـــي والأكرمـــون عشـــيرتي مقـــامي علـــى دحـــض ، ونـــومي علـــى وخـــز

وأنا أولى من عنترة بالدفاع عن أهل الصعيد إذا لم أسخر قلمي وأدبي وشعري في الذود عن عشيرتي:

ســـكتُّ ، فغـــر أعـــدائي الســـكوتْ وظنـــونـــي لأهلـــي قـــد نســـيتُ

وكيـــف أنـــام عـــن ســـادات قـــوم أنـــا فـــي فضـــل نعمـــتهم رُبيـــت؟

وإن دارت بهـــم خيـــل الأعـــادي ونـــادوني أجبـــت متـــى دعيـــت

بســـيف حـــده مـــوجُ المنايـــا ورمـــح صـــدرُه الحتـــفُ المميـــت

وأنا اليوم أولى بما أنشد الفرزدق في قومه ، وهو يفتخر بهم غاية الفخر ويجعل الناس تبعاً لهم فيقول:

تـــرى النـــاس إن ســـرنا يســـيرون خلفنـــا وإن نحـــن أومأنـــا إلـــى النـــاس وقّفـــوا

ولا عـــز إلا عزنـــا قـــاهر لـــه ويســـألنا النصـــف الـــذليل فننصـــف

ومـــا قـــام منـــا قـــائمٌ فـــي نـــدينا فينطـــق إلا بـــالتي هـــي أعـــرف

وإنني لأهمس في آذان المتندرين المتهكمين المستهزئين أن يتوقفوا عن مثل هذه الممارسات القذرة ، وأقول بقول الفضل بن العباس بن عتبه بن أبي لهب في النصح لبني عمومته:

مهـــلاً بنـــي عمنـــا ، مهـــلا موالينـــا لا تنبشـــوا بيننـــا مـــا كـــان مـــدفونا

لا تطمعـــوا أن تهينونـــا ونكـــرمكم وأن نكـــف الأذى عـــنكم وتؤذونـــا

مهـــلاً بنـــي عمنـــا مـــن نحـــت أثلتنـــا ســـيروا رويـــداً كمـــا كنـــتم تســـيرونا

الله يعلـــم أنـــا - لا نحـــبكمُ ولا نلـــومكمُ إن لـــم تحبونـــا

كـــل لـــه نيـــة فـــي بُغـــض صـــاحبه بنعمـــة الله نقلـــيكم وتقلونـــا

وأقول: إنه لعار من أخيس العار وأوقحه ، أن يعيب على أهل الصعيد إخوتهم أهل الشمال (أعني الوجه البحري). ويكون العار أعتى وأوقح وأرذل إن كان من يعيب أهل الصعيد من جلدتهم ومن بني عمومتهم (أمثال أحمد الحداد وفكري الجيزاوي ومسعد القص) فإن هؤلاء فيما أعلم صعايدة ، فيكونون بذلك قد ذموا قومهم وشجعوا الآخرين على ذلك. وصدق أبو نواس:

إذا أنـــت لـــم تعـــرف لنفســـك حقهـــا هوانـــاً بهـــا ، كانـــت علـــى النـــاس أهونـــا

نعم ، إذا لم يحترم أهل الصعيد بعضهم البعض ، وإذا لم يكفوا عن قول النكت القذرة عن بعضهم البعض ، فمن ذا الذي سيحترمهم في الأرض بعدما أهانوا أنفسهم بأنفسهم؟ ولهؤلاء من أهلينا وبني أعمامنا المنولوجستات (الصعايدة) أقول بقول أبي فراس الحارث بن سعيد محذراً قومه من التعدي على الحق:

أيـــا قومنـــا لا تشـــعلوا الحـــرب بيننـــا أيـــا قومنـــا لا تقطعـــوا اليـــد باليـــدِ

فجـــرح ذوي القربـــى أشـــد مضاضـــة علـــى الـــنفس مـــن وقـــع الحســـام المهنـــد

إنني أجعل قصيدتي (الصعايدة وصلوا!) حجراً ألقمه أفواه كل العابثين ، من الذين يهرفون بما لا يعرفون ، كما وأجعلها بادرة على الطريق وخطوة على الدرب لكي يتشجع الشعراء كلهم في الأرض للذود عن أهل الصعيد الكرام المظلومين الذين أصبحوا مسخة على ألسنة الهارفين الهازلين. لقد يكون لهذه القصيدة يوماً ما شأن ، فأقول: أسأل الله يومها أن لا يجعل الثناء والمدح من أهل الصعيد أو من غيرهم هو أجري إذ كتبت حتى يقال: شاعر ، وقد قيل. لا والله ما أردت ذلك طرفة عين ولا أقل من ذلك. إنني أنشد ما عند الله عز وجل من نصرة عبد سوف يقف بين يديه يوم العرض ، محتاج إلى نصرته وهو يومها أضعف ما يكون. فاللهم أيدني بالحق وأيد الحق بي وانصرني في الدنيا والأخرة. ولا تفتنّي بما سيكون للقصيدة من صدى في مستقبلات الأيام. إذ إنها عندي من أضعف وأوهى ما كتبت ، ولكنه شرف المحاولة يحدوني دائماً. وإنني قد أوردت في مقدمتي هذي الطويلة ما قد يغني القارئ عن أبيات للشعراء في الفخر بأقوامهم. ولولا أن الإسلام منعنا من الفخر بالأقوام لكتبت الكثير والكثير عن مناقب ومآثر أهل الصعيد الكرام. ولكنني أدخل إلى الموضوع من بوابة الدفاع عن المظلومين. وهذا مما قد يهون علي أبيات في قصيدتي قد يُتوهم أن فيها فخراً من فخر الجاهلية. وقد حرصتُ الحرص كله على أن أجتهد كل الاجتهاد في ديوان (الصعايدة وصلوا) مبتغياً في ذلك وجه الله تعالى والانتصار للحق الذي أدين الله به! من أجل ذلك ألحقت بعض القصائد التي تتعلق بالصعيد وأهله في هذا الديوان حتى لا يتفرق دم الصعيديين في القبائل والأمصار ، فلا يجد من ينتصر له مؤثراً ما عند الله من الأجر! كما حرصت على أن يكون التقديم والختام شعراً لا نثراً ليكون لوناً جديداً يُكافئ جميل أهل الصعيد عليّ فهم أهلي وعشيرتي. وإذا كان حسان بالأمس قد سل رسول الله من قريش كما تسل الشعرة من العجين ، فعليّ أن أسل أشاوس وأجاويد وعلماء وأدباء أهل الصعيد من المؤمنين بالله ورسوله من النكت القذرة وأقوال المنولوجستات

الحمقى المغفلين كما تسل الشعرة من العجين! طبعاً مع الفارق العظيم بين حسان وبيني ، وبين رسول الله وأهل الصعيد! والشعر في حقيقته شعور شكلته حقيقة واقعة أو موقف بعينه أو تأثر بحادث معين! ولم يزل الشعر - منذ عصر امرئ القيس إلى يوم الناس هذا وإلى أن يرث الله الأرض بما عليها ومن عليها – وسيلة من وسائل التعبير عن النفس وما يعتلج فيها من عواطف ومشاعر وأحاسيس! وتحت عنوان: (الشعر جلي غامض تخســـر البشرية فضائله) يقول الدكتور الأديب محمد سبيل والأستاذة الناقدة وفاء السويدي ما نصه: (عما قريب يحتفل العالم بيوم الشعر العالمي ، وفي ذلك ما فيه من الحنين العميق نحو زمان أشاع فيه الجلي الغامض فضائل المحبة والسلام والقيم النبيلة بين الناس ، والآن قد نزعم أن تخصيص يوم عالمي لأي شأن كان ، يعني بالضرورة أن ثمة مشكلة وأن هنالك دعوة ضمنية مفتوحة على مستوى العالم ، لتسليط الضوء من أجل التضامن لصالح هذا الكائن الرقيق الذي لا يلقى الاهتمام الكافي ، ويأتي تالياً على هذا التآزر الجماعي ، إظهار آيات التقدير والاحتفاء بإسهامات الذين كانوا - وما يزالون - يقدمون الدعم والترويج له والعناية به. إن تخصيص يوم عالمي للشعر يصادف الحادي والعشرين من مارس قد يعني الأخذ بيد الشعر الذي تحول من مركز الصدارة والعلامة الفارقة ، الدالة على حسن الثقافة والفصاحة والبلاغة ، إلى هذا الوضع الماثل بين ظهرانينا ، حيث يحتاج إلى الترويج والنصرة في ظل إهمال المجتمع له على نحو لم يسبق له مثيل في التاريخ ، ودون أن يدري أحد السبب بالتأكيد سيقول قائل إن شعر اليوم قد بدل صورته وسيرته التي جذبت الناس إليه طوال ما مضى من عمر الزمان جراء محاولات تطويره على نحوه أفقده النكهة والمذاق ، وبالتالي فإن الكرة في ملعب شعراء هذا العصر ، الذين يتعين عليهم الاهتمام بذائقة المتلقي واستعداداته أكثر من الميل نحو المغامرة بتجارب تطويرية لا تروق إلا لهم وحدهم. هذا طبعاً زعم ليس في محله ، بدليل أن انحسار الشعر بات سائداً في كل مكان ، وليس في عالمنا العربي وحده ، وبالتالي فالمسألة لا ترتبط بفقدان الوزن والقافية وجلاء المعاني والأغراض الشعرية مثلاً ، ثم إن الشعراء الذين ما برحوا مستمسكين بشروط الشعر التقليدي "الرصين إياه" هم أيضاً يستشعرون هذا الجحود والإهمال. بينما باتت الرواية مثلاً سيدة الموقف الأدبي ، في مشارق الأرض ومغاربها ، مع أننا في زمان السرعة والإيجاز ، والشعر وحده يضمن التعبير بكثافة ما قل ودل أكثر مما تفعل الرواية. ومن جهة أخرى فإن هيمنة الثقافة الرقمية وتكنولوجيا المعلومات ووسائل التواصل الاجتماعي التي تساق أحياناً تبريراً لأزمة الأدب عموماً ، لم تهزم الرواية ، بينما استطاعت أن تخلخل مكانة الشعر بين الناس. ولذلك يبقى السؤال على ما هو عليه: ما الذي صرف الناس جماعياً عن الشعر؟ ذلك الكائن الأثيري الواضح في تأثيره والغامض في تحديد كنهه ، ولطالما أسعد الناس وأبكاهم؟ لعل أهم المقاربات التي يمكن التعويل عليها بهذا الصدد هي التي تذهب إلى أننا في الحقيقية في عصر "الترفيه" والرواية والسينما والألعاب الذكية تعد مجالاً للإمتاع أكثر مما تفعل القصيدة ، خاصة حينما تجنح القصيدة نحو التعقيد الفلسفي والمقاصد المبهمة وأحياناً التقريرية المسطحة. ومما يعزز وجاهة هذا الطرح أن المسلسلات الرومانسية وبرامج الفكاهة والأغاني ذات الطابع الرومانسي ما تزال تحتفظ برصيد أوفر لجهة الجمهور الذي قد يصل حد الهوس بها بقدر ما يهتم ببرامج مايكروسوفت وألعاب البلاي استيشن وبوكيمون غو إلخ. نحن فعلاً في زمان الترفيه والاستمتاع الاستهلاكي ، وليس الأعمال الجادة ذات الرسائل الوطنية أو التربوية. أليس مناسباً البناء على مثل هذا التشخيص والتحليل تمهيداً لإيجاد حل

للمشكلة؟ أليس ممكناً كتابة قصيدة ممتعة وطريفة وفيها تحدٍ مثير أو دعابة تتضمن رسالة ما؟).هـ. وكنتُ - وأعتذر عن ذلك – قد نسيت أن أذكر أن الشيخ محمد محمود الطبلاوي صعيدي من ميت عقبة وهي من أعمال محافظة الجيزة بصعيد مصر! وكذلك العملاق الفذ فضيلة الشيخ جمعة سليم الجهمي القوصي (طبلاوي الصعيد) من صعيد مصر فهو من قوص وهي من أعمال محافظة قنا! وكم هو شرف للصعيد أن يخرج من بينهم ذلك القارئ المقرئ المبدع جمعة القوصي – حفظه الله - ، ولأنه انتهج مدرسة الشيخ الطبلاوي فأطلقت عليه الجماهير لقب (طبلاوي الصعيد)! وأراه جديراً بهذا اللقب! ومرة أخيرة أعتذر أنني نسيت أن أورد اسمه ضمن أعلام الصعيد الذين ينبغي أن نفاخر بهم! والآن لنتابع الاستماع والقراءة للقصيدة.)

ألا أكْبـــروا الأفـــذاذ أهـــلَ المحامـــدِ ... فكـــم أتحفونـــا بالمعـــالي الشـــواردِ!

وكـــم علمـــوا مَـــن يبتغـــي العلـــم صـــافياً! ... وكانـــت لهـــم فـــي العلـــم أحلـــى الروافـــد

وكـــم جاهـــدوا بـــالعلم كـــل مثـــبّط! ... وينصـــر ربـــي كـــل فـــذٍ مجاهـــد

وكـــم ناضـــلوا دون اكتـــراثٍ بمـــن طغـــى! ... ولـــم يعبـــأوا يومـــاً بـــأعتى المكايـــد

وكـــم بيّنـــوا للجـــاهلين معالمـــاً! ... وكـــم فصّـــلوا مـــن مُجمـــلات العقائـــد!

وكـــم شـــيّدوا للفكـــر أســـمى منـــارة! ... وكـــم نـــافحوا دهـــراً بـــأرجى قصـــائد!

وكـــم أتحفـــوا الآداب: كـــلٌ بحسْـــبه! ... وصـــاغوا بمـــا أوتـــوا بـــديع الفرائـــد

وصـــانوا الـــذي صـــاغوه ، لمّـــا يُفرطـــوا ... فـــأنعمْ وأكـــرمْ بالحُمـــاة الأجـــاود!

فخطـــوا بهـــذا موثـــقَ المجـــد شـــامخاً ... ومجـــدُ الفتـــى - فـــي النـــاس - خيـــرُ المقاصـــد

وباتـــت لهـــم فـــي مصـــرَ أنـــدى مكانـــةٍ ... بمـــا أصّـــلوا مِـــن طيّبـــات القواعـــد

ففـــي كـــل علـــم أصّـــلوا ، بـــل وجَـــدّدوا ... وأفكـــارُهم مثـــلُ الأقـــاح النضـــائد

ومـــا حـــادوا عـــن الحـــق المبـــين لشـــهوةٍ ... ولـــم يُـــذعنوا يومـــاً لأوهـــى المفاســـد

أشـــاوسُ فـــي كـــل المواقـــف ســـادةٌ ... وإن أوصـــلتهم للسُّـــها والفراقـــد

غطـــاريفُ لـــيس الـــذل يغشـــى قـــراهمُ ... ويَلـــوون - حـــين البـــأس - جيـــدَ الشـــدائد

وأبطـــال هيجـــاءٍ تســـامى إبـــاؤهم ... وفـــي سِـــلمهم رُكبـــانُ أغلـــى الجلاعـــد

كـــرامٌ إذا حلـــوا ، وصِـــيدٌ إذا مضـــوا ... وتحيـــا بهـــم دوحُ الريـــاض الهوامـــد

كغيـــــثٍ إذا مـــــا أنزلـــــت قطراتـــــه ... فـــإن لـــه فـــي الأرض أزكـــى الفوائـــد

وصُـــنّاعُ أفكـــار لمنفعـــة الـــورى ... ومـــا ارتقبـــوا مـــنهم جميـــلَ العوائـــد

مغـــاويرُ لا تلـــوى عمـــائمُهم ، لـــذا ... أبَـــوْا أن يعيشـــوا بـــالنفوس الســـوامد

وكـــانوا عِصـــاميين أصـــحابَ هِمـــة ... لـــذا بنـــوْا أمجـــادهم بالســـواعد

إذا اغتربـــوا كـــان التصـــبّر سَـــمتهم ... ويشـــتاقُ أهلـــوهم لعَـــوْد الأباعـــد

ألا ليـــت شـــعري ، والصـــعيدُ يَشـــوقَّهم ... ويهفـــو إلـــى لقيـــا العظـــام الأماجـــد

تأمـــلْ تـــر (الفيـــوم) تزهـــو بقومهـــا ... (وأســـوان) فيهـــا بهـــيّ المشـــاهد

(وســـوهاج) فـــي شـــوق تحـــن لغائـــب ... (وأســـيوط) نشـــوى تســـتعد لعائـــد

وفـــي (الأقصـــر) الأفـــراحُ تحلـــو لزائـــر ... وأمـــا (قنـــا) – تـــا الله - زينـــتْ لقاصـــد

وفـــاخرتِ (المنيـــا) بجيـــل مثقـــفٍ ... نقـــيِّ الســـجايا مســـتقيم المَحاتـــد

وفـــي (النوبـــة) الشـــهباء طيـــفٌ مســـامرٌ ... يُرَجّـــع قـــرآن الهُـــدى فـــي المســـاجد

وســـائلْ صـــعيد الخيـــر عـــن حـــب أهلـــه ... وتعظـــيم رب خالـــدِ الـــذكر واحـــد

فللعلـــم والآداب فـــيهم مكانـــة ... ويَجحـــد مـــا قـــد قـــدّموا كـــل حاســـد

ألا وابـــن قطـــب ســـيدٌ فـــي صـــعيدنا ... وهـــذا تـــراث القطـــب خيـــرُ شـــاهد

(معالمُـــه) خطَـــتْ طريقـــاً لجيلنـــا ... وبعـــدُ (ظـــلالُ) القطـــبِ خيـــرُ المقاصـــد

بأســـيوطَ للقطـــب الشـــهيد محبـــة ... وفـــي ســـائر الـــدنيا أعـــزّ تواجـــد

وأســـفاره فـــي العلـــم تشـــهد أنـــه ... لـــه فـــي تلقِـــي العلـــم رؤيـــة ناقـــد

وثـــمّ شـــقيقُ القطـــب أعنـــى محمـــداً ... لـــه قلـــمٌ ذاكٍ وهمّـــة رائـــد

يُنـــافح عـــن ديـــن المليـــك مثـــابراً ... ويُوقـــف - عنـــد الحـــد - كـــل معانـــد

وهـــذي كتابـــاتُ الشـــقيق تـــدلنا ... علـــى كـــل خيـــر ســـاطع بالشـــواهد

ليـــرحمْ إلـــه النـــاس مـــن مـــات منهمـــا ... وبـــارَك فـــي حـــيٍّ أديـــب وقائـــد

ولســـتُ علـــى ربـــي أزكـــى عبيـــده ... لقـــد ذل مـــن زكّـــى ذوات الأعابـــد

ولكنـــــــه دَيْـــــــنٌ علـــــــى أداؤه ... وإيـــرادُ أهـــل الحـــق أســـمى المـــوارد

وفـــي منفلـــوط اســـأل عـــن الشـــهم مصـــطفي ... ومَـــن كـــان فـــي دنيـــاه أفضـــلَ زاهـــد

روائعـــهُ فـــي مجـــدها قـــد تشـــامخت ... فـــأكرمْ بثبـــت للحقـــائق راصـــد

(وعبـــد الباســـط) الشـــادي بقـــرآن ربنـــا ... بصـــوتٍ بأنغـــام التراتيـــل صـــاعد

تنـــاءت عـــن الـــدنيا لحـــونٌ وقـــارئٌ ... وفزنـــا بصـــوتٍ بـــالترانيم خالـــد

وســـائلْ (طحـــا) عـــن جهبـــذٍ متفقـــهٍ ... (أبـــو جعفـــر) شـــيخ التقـــاة الأماجـــد

أولئـــك أبنـــاءُ الصـــعيد نوابـــغٌ ... فمـــا بـــين أســـتاذٍ يربـــي وعابـــد

ومـــا بـــين عمـــلاق يجـــود وعـــالم ... ومـــا بـــين مفضـــال يســـود وماجـــد

ومـــا بـــين قصّـــاص أديـــب وشـــاعر ... ومـــا بـــين مقـــدام بيـــوم التجالـــد

ومـــا بـــين فـــذٍ ناصـــح ومـــؤرخ ... وقـــارئ قـــرآن زكـــيّ المحامـــد

أولئـــك قـــومي ، مَـــن يبـــاري سُـــموهم؟ ... ولمّـــا تجُـــدْ بالشـــم أيّ الولائـــد

وإنـــي وإن قـــد كنـــتُ فارقـــتُ دارهـــم ... فكـــم مـــن ودادٍ للمحبـــين وارد!

أحـــنّ إلـــى أهلـــي ودارٍ حُرمتُهـــا ... ولا ذنـــب لـــي إلا تحـــدّي الأوابـــد

ولـــي فـــي الصـــعيد الحُـــر قـــومٌ وعِتـــرة ... تعـــذبني – فـــيهم - جراحـــاتُ واجـــد

ينـــالُ مـــن الأشـــراف وغـــدٌ مُنكّتـــا ... فقـــبّحَ مِـــن نـــذل مُضـــل وفاســـد!

أيُضـــحكُ - بالبهتـــان - قومـــاً تخبطـــوا ... فلـــم يعرفـــوا للحـــق بعـــضَ المراشـــد؟

نكـــاتٌ وألغـــازٌ تغـــذي تخرصـــاً ... يُروّجهـــا - فـــي النـــاس - أهـــلُ المفاســـد

وأحـــرى بهـــم أن لـــو عـــن اللغـــو أعرضـــوا ... فـــإن احتـــراف اللغـــو شـــر الحصـــائد

تمرسْـــتُ فـــي أهـــل الخرافـــة والهـــوى ... فـــألفيتهم يُـــذرّون سُـــم الأســـاود

فطـــوْراً يُعـــاني مِـــن هـــواهم موحّـــدٌ ... فيشـــقى ويُجـــزى كـــأس ســـم وصـــارد

وطـــوراً يُقاســـي الصِّـــيد بلـــوى هُـــرائهم ... ويُخجلهـــم خِـــزيُ النكـــاتِ البوائـــد

فنـــاسٌ علـــى الإفـــلاس عاشـــوا حيـــاتهم فمـــا عصـــمَ الحمقـــى نقـــيّ المـــوارد

ونـــاسٌ طغـــت روحُ التجنـــى علـــيهمُ فبـــاؤوا مـــن البلـــوى بسُـــوء المقاصـــد

ونـــاسٌ أقـــروا الهـــزل والقـــبح جملـــة فيـــا رب ســـلمْ مـــن نوايـــا الحواســـد

ونـــاسٌ علـــى هـــذا (الصـــعيد) كواســـرٌ ينالونـــه مثـــل البغـــاة الرواصـــد

وقـــد علمـــوا أن الصـــعيد مبـــرّأ وأن لـــه - فـــي الســـبق - حســـنَ العوائـــد

ديـــارٌ شـــدتْ بالمجـــد فـــي جنباتهـــا كشـــمس تبـــدت فـــي الســـعود الفرائـــد

وأمجـــاده بـــالأمس واليـــوم كالســـنا وأخبـــاره كـــم مـــن طريـــفٍ وتالـــد!

ديـــارٌ حـــوتْ مـــن كـــل شـــهم وفاضـــل لهـــم فـــي لقـــاء القـــوم صـــدرُ المحاشـــد

إذا حضـــروا ســـادوا المجـــالس ســـادة وكـــلٌّ لبـــذل الخيـــر أشـــجعُ عاضـــد

وإن فـــارقوا كـــان الفـــراقُ كرامـــة لأفـــذاذِ قـــوم كالرواســـي الرواكـــد

وهـــذا هـــو التـــاريخ ينطـــق بالـــذي أســـطره بالشـــعر فـــي جـــوف كاغـــد

ولـــيس كلامـــي مـــن خيـــال مزخـــرفٍ ولســـتُ أنـــا - فـــي الشـــعر - أول وارد

حقـــائقُ مثـــلُ الشـــمس فـــي النـــاس أصّـــلتْ ولكـــنْ لأهـــل الزيـــغ بعـــضُ المصـــايد

وســـائلْ عـــن الأبطـــال قـــومى تراجمـــاً تجـــدْهم كِرامـــاً دون أدنـــى الندائـــد

وأهـــلُ الهُـــدى مـــنهم كِـــرامٌ أعـــزةٌ صـــناديدُ هيجـــاءٍ ، وأهـــلُ شـــدائد

رجـــالٌ ، وأبنـــاءُ الرجـــال حقيقـــة وليســـوا إذا حـــق اللقـــا كالنواهـــد

وحـــدّث عـــن الغـــادات فـــي كـــل بقعـــة ربيبـــات علـــم ، والكتابـــات شـــاهدي

ذوات حجـــاب ، فالعِبـــاءات أسْـــدلتْ وإن كـــن فقـــن اليـــوم ســـن القواعـــد

ويقـــرأن قـــرآن المليـــك تعبـــداً وهـــن إذا دققـــت خيـــرُ العوابـــد

وبعـــدُ يُـــربين الصـــغار علـــى الهُـــدى وربـــي لهـــن اليـــومَ خيـــرُ الولائـــد

تجـــاوزن مـــا فـــي ذي التقاليـــد مـــن عمـــى وآمـــنّ بـــالله العظـــيم الماجـــد

تعلمـــن قـــال الله قـــال رســـوله ولـــم تعـــص إحـــداهن أمـــراً لوالـــد

سـوى أن يكـون الأمـر فـي غيـر طاعـةٍ ... وذي سـنة المعصـوم طاعـة واحـد!

فتعصـي جميـع النـاس مهمـا تعصـبوا ... وفـيُ سـنة العـدنان بعـضُ الشـواهد

لكُـنّ تحيـاتي بنـاتِ (صـعيدنا) ... مـن الأخـوات المؤمنـات الرواشـد

ألا فليكُـف المغرضـون عـن الهـوى ... وكـلٌّ فمـأخوذٌ بـأخزى الحصـائد

فـدققْ وحقـقْ يـا جهـولُ عـن الألـى ... لهـم فـي جميـع النـاس أسـمى المحامـد

ولا تغمـر الألغـاز زيفـاً مزركشـاً ... وزايـل دعـاة الشـر أهـل المفاسـد

ألا إنهـم دكّـوا الحقيقـة بـالهوى ... ولـم يعـدلوا فـي القـول عـدل المُحايـد

فألغـازهم هـذي ذخيـرة مَـن غـوى ... فقـد وفـرتْ للعِيـر أنكـى المـوارد

تجـاوز أهـلُ البغـي عُرفـاً وشِـرعة ... وطـالوا قرانـا بالشـقا والمكايـد

ونـالوا مـن الأبطـال أهـل صـعيدنا ... فبتنـا نعـاني بـين وغـدٍ وحاسـد

فلـم يَقـدُروا حـق المغـاوير أهلنـا ... وعـاثوا فسـاداً كالهجـان الحرافـد

وكـان الصـعيد العـف أنـدى ضـحيةٍ ... لكـل رقيـع للمعـايير فاقـد

ومـا مـن صـعيديٍّ يحـب الـذي أتـوْا ... أيعجـب فـذ بالنكـات الجلامـد؟

وأعلـنُ مِـن صُـنع الغثـاء براءتـي ... وأوقـدُ بالأشـعار أعتـى مواقـدي

وأصـلِي الألـى قـد عربـدوا مُـرّ غضـبتي ... ولسـتُ أرانـي ناكصـاً بمواعـدي

وأهـدي قريضـي بالجمـال مُضـمّخاً ... سـبائكَ أحلـى مِـن نفـيس القلائـد

ومَـن بـالقريض العـذب أولـى مِـن الألـى ... صـلابتهم - فـي الحـق - مثـلُ الخوالـد؟

ونحـنُ (صـعيديون) ، نزهـو بـديننا ... سَـموْنا بـه فـوق الأذى والحقائـد

لقـد صـاغنا الإسـلام أحلـى صـياغةٍ ... فأعرافنـا قـد زُيّنـتْ بالمحامـد

وإنـا قـد برئنـا مـن تقاليـدَ أزهقـتْ ... نفوسـاً طوتهـا رمـحُ (ثـأر) وصـائد

ولـيس لنـا فـي الفـن بـاعٌ ، ولا الخنـا ... وأعيانُنـا مـا بـين تـال وسـاجد

تبيـــتُ علـــى ديـــن المليـــك قبائـــلٌ وأخـــرى تلاحـــي كـــل بـــاغ وجاحـــد

علـــى العهـــد مـــا عشـــنا نبـــاهي بشـــرعنا ونلقـــم صـــخراً كـــل عـــادٍ وحاقـــد

نمـــوت لتحيـــا دارنـــا فـــي ســـلامةٍ علـــى ديـــن رب النـــاس مـــولى الأماجـــد

لأنـــا (صـــعيديون) أســـلم شـــعبنا فيـــا رب ألهمنـــا نقـــيّ العقائـــد

ومـــن عابنـــا يـــا رب فاكســـر غـــروره وأنـــزل بـــه أعتـــى الـــبلا والشـــدائد

ومـــن نـــال منـــا فاجعـــل النـــذل عِبـــرة عليـــك بشـــر النـــاس أهـــل المفاســـد!

(الصعايدة وصلوا! 2)

(ليست هذه هي المرة الأولى التي أتشرف فيها بالكتابة عن أهل الصعيد. حيث إنني كنت قد كتبت (الصعايدة وصلوا - ديوان القوقعة الدامية1) وهذا منذ سنوات ، وأيضاً كتبت (وصول أهل الصعيد – ديوان ذل الجمال) وكتبت (امرأتان من صعيد مصر- ديوان ذل الجمال) وكتبت (الصعيدي عندما يعف – ديوان ماسحة الأحذية). وها أنذا أضرب على ذات الوتر ، منتصراً لأهل التوحيد والإيمان من أهل صعيد مصر ، ومتناولاً شيئاً من أخبارهم ونتفاً من سير أعلامهم. علني بهذا أجلي الصورة المثلى لنجباء أهل الصعيد وأشرافهم ، ولأثبت أنهم وصلوا للقمة في الحضارة الإنسانية المادية والمعنوية ، علماً وثقافة وبناءً وعمرانا. ولأخرس ألسنة المتندرين المتفكهين الثقلاء المرتزقة الذين يتطاولون على أهل الصعيد. وها أنذا أعنون لديواني هذا بذات العنوان (الصعايدة وصلوا). والسبب في ذلك أن المؤمنين الموحدين من أهل الصعيد مني وأنا منهم ، لأنني أحد أبنائهم من بيت (خليفة) بالكولة مركز أخميم سوهاج. وذلك لأؤدي بعض ما لهم علىَّ من جميل كأهل وعمومة وأجداد. وأخيراً لأدافع عن قضية طال عليها الأمد ، وثبت عكس حقيقتها في أذهان الناس. وكنت أتكلم مع مجموعة من الناس ، فتعجبوا من كلامي ، واستكثروا على الصعيد أن يخرج منه شعراء وأدباء ومفكرين وعلماء. فرُحتُ أقول لهم: من أي البلاد فلان وعلان وأذكر أعلاماً فى قمة الإبداع ، فأفاجأ بأن أصحابنا من كوكبة المثقفين لا يعرفون أن هؤلاء صعايدة وأبناء صعايدة وأبناء صعيديات. بل استبعد البعض عروبة أهل الصعيد ، فرحت أثبت لهم من واقع التاريخ أنهم عرب ، بل ومنحدرون من أصول ضاربة بجذورها فى العربية. وإنني إذ أنتصر لأهل الصعيد ، ليس من باب القومية ذلك الباب الضيق الفجّ المَقِيت ، ولكن من باب نصرة المظلوم والدفاع عن قضية هامة لم يتعرض لها أحد – على حد علمي - بدراسة موضوعية ، يمكن من خلالها الوقوف على حقيقة هذا الموضوع وحقيقة أهله من كرام أهل الصعيد وأجلتهم. ولسوف أعوّل على المراجع وكتب التراجم والموسوعات والتاريخ والسير ، ليكون الأمر أكثر وضوحاً بكل دليل أشعر أنه يصلح لهذه الترجمة. (الصعايدة وصلوا). ويكفي الصعيد شرفاً أن رجلاً صالحاً من أهل الصعيد ، وعرف بالحكمة وفصل الخطاب ، كان قد ذكر في القرآن ، وسمى الله السورة التي ذكر فيها باسمه تكريماً له ، إنه لقمان الحكيم. وهو من أهل النوبة ، بها عاش ، وتوفي أيضاً بها. ويكاد يكون هناك شبه إجماع من المفسرين على ذلك! كما يكفيه شرفاً أن القارئ العظيم الشيخ محمد محمود الطبلاوي من الجيزة من صعيد مصر. وكذلك الشيخ صلاح أبو إسماعيل من الجيزة بصعيد مصر. *في موسوعة قبائل العرب للأستاذ / عبد الحكيم الوائلي م3 ص1051 يقول نصياً: (*الصعايدة: فخذ من زبيد الشيخ في خليص من الديار السعودية. *الصعايدة: إحدى العشائر الملحقة بالمساعيد الشيبانية الوائلية العدنانية ، يقال إنهم قدموا إلى فلسطين من صعيد مصر ، وأقاموا بوادي المالح شمال فلسطين. ومنهم قوم عواد والعُميريين ويتبعهم الدقيان. *الصعادا وهم بطن من الفقرا من المنابهة من عنزة من العدنانية ، يقيمون بالعلا من الديار المصرية. وبالصعيد قبائل عربية اتخذت بلاداً وسُميت باسمها مثل (جُهينة). والحقيقة أنني إذ رجعتُ إلى التاريخ الموثق أدركت أن لأهل هذا الجنوب المصري ما يؤيد كلامي. فاستغرقت الوقت الطويل في الوقوف على هذه الحقائق الدقيقة ، ودرست الشيء الكثير عن أهل أنا أنتسب إليهم ويفتري عليهم بالباطل اليوم أقوام أراذل أخسة حمقى. وكان من النتائج أن أدركت بالدليل ، ما لهم من مكانة عظيمة وجليلة ، بين الذين أضافوا للإنسانية فمثلاً:

**الشيخ العالم الجليل علي أحمد الجرجاوي (داعية الإسلام في اليابان) ، والذي كتب كتاباً عن رحلته الدعوية إلى اليابان أسماه: (الرحلة اليابانية). إن هذا العالم الفاضل هو أحد أعلام الأزهر ، كان قد ذهب إلى اليابان على نفقته الخاصة بعد أن باع قطعة أرض ورثها عن أبيه ليكمل رحلته! ووصل الشيخ المبارك إلى طوكيو للدعوة إلى الإسلام. وذلك بعد أن نادى في علماء الأزهر أن تعالوا معي لنذهب للدعوة إلى الله في اليابان ، ولما لم تجد دعوته صدى ، أخذ على عاتقه أن يذهب وحده. ووصل إلى يوكوهاما ، ولقي من الأهوال والعقابيل ما الله به عليم. والتقى بأحد العلماء المسلمين الهنود من كلكتا من بلاد الهند ، كما التقى بوفد إسلامي كان السلطان عبد الحميد الثاني العثماني قد أرسله للدعوة إلى الله في اليابان. وبناء على طلب الإمبراطور الياباني أن يبين حاخام يهودي وقسيس نصراني وشيخ مسلم معالم دينهم كل على حدة! فلما انتصر الحق على يد الشيخ علي الجرجاوي أعطى الإمبراطور الحرية للدعوة الإسلامية ، فراح الشيخ علي الجرجاني يدعو إلى الله فأسلم على يديه الآلاف في بضعة أيام!

**محمد محمد محمد أبو تريكة المولود في ناهيا – محافظة الجيزة سنة 1978م. ونشأ محمد أبو تريكة في أسرة متواضعة بقرية ناهيا بمحافظة الجيزة ، وتخرج في كلية الأداب قسم التاريخ بجامعة القاهرة ، والتحق بنادي الترسانة وعمره 12 سنة ، وتزوج من زميلته في الجامعة (سُمية) في عام 2002م ، ولديه طفلان توأم سيف وأحمد وطفلة (رقية). وعرف عن أبو تريكة الالتزام الديني ومساندة المسلمين في كل مكان واختير أبوتريكة سفيراً لبرنامج الأغذية العالمي للأمم المتحدة لمحاربة الفقر ، ويقول أبو تريكة "الإسلام يعالج الفقر من خلال الزكاة ، لأن الغني يشعر بمحنة الفقراء. ويجب علينا أن نساعد الفقراء بقدر الإمكان ، حتى لا يشعروا بالغربة في المجتمع." ومن هذا المنطلق ، في عام 2005 انضم أبو تريكه إلي اللاعب البرازيلي رونالدو واللاعب الفرنسي (الجزائري الأصل) زين الدين زيدان إضافة إلي 40 من نجوم الكرة العالمية في "مباراة ضد الفقر" من أجل جمع التبرعات والتوعية بمحاربة الفقر في شتي أنحاء العالم. والحقيقة أن معلوماتي عن الكرة ولا عبيها قليلة ومن هنا كان التقصي عنه! يتمتع أبو تريكة بشعبية عالية في مصر والعالم العربي حتى انتخبته مجلة شباب 20 الإماراتية أقوى شخصية مؤثرة في الوطن العربي في استفتاء شارك فيه مئات الإماراتيين والعرب. بدأ أبو تريكة ممارسة كرة القدم في شوارع ناهيا ، وشارك في العديد من الدورات الرمضانية ، حيث بدأت موهبته تظهر جلية للعيان. وفي سن 12 عام نصحه أحد أصدقائه المقربين بالتوجه لاختبارات نادي الترسانة ، حيث نجح وانضم للنادي الكائن في ميت عقبة ، لينتقل اللاعب إلى مرحلة أكثر تنظيماً وحِرَفية. وكانت مهارات أبو تريكه في دوري الناشئين مع فريق الترسانة قد دفعت مسئولي الشواكيش إلى تصعيده وهو لم يبلغ الـ 17 عام إلي الفريق الأول (الذي كان يلعب في دوري الدرجة الأولي أنذاك) ، حيث أمضى أبو تريكه ثلاث سنوات مع الفريق في دوري المظاليم قبل أن يصعد بالفريق للدوري الممتاز بفضل أهدافه الحاسمة التي بلغت 23 هدفاً. في موسم 2001/2000م أول مواسم أبو تريكة في الدوري الممتاز أحرز أبوتريكة 6 أهداف مع الترسانة وساهم مع زملاؤه في الفريق في احتلال المركز الحادي عشر ليبقى الترسانة في دوري الأضواء بفارق نقطتين عن (مزارع دينا) ، وكان للفريق مباراة لا تنسى في هذا الموسم تعادل فيها مع الإسماعيلي بكوكبه نجومه في ذلك الوقت (بركات والشاطر والنحاس وأوتاكا) 3/3 في ملعب الترسانة بميت عقبة. وفي الموسم التالي 2002/2001 أستمر تألق أبو تريكة وأحرز سبعة أهداف ، وقاد الترسانة بنجاح للموسم الثاني

للبقاء في الدوري الممتاز. وبرغم تواجد أبو تريكه في أغلب المباريات في مركز لاعب الوسط إلا أن توهجه أستمر في الموسم الثالث على التوالي للترسانة في دوري الأضواء موسم 2003/2002 وأحرز 11 هدفاً ، ساهمت بشكل كبير في استمرار بقاء الشواكيش في الدوري. شهد موسم 2004/2003 أكبر تحول في تاريخ محمد أبو تريكة ، حيث انضم في موسم الانتقالات الشتوية (يناير 2004) إلى النادي الأهلي ليبدأ رحلة نجاح منقطعة النظير مع الفريق. ولقد بدا أبو تريكة مسيرته مع الأهلي في نصف الموسم المتبقي 2004/2003 حيث أحرز 14 هدف حل بها ثانيا بعد عبد الحليم علي (لاعب الزمالك) الذي أحرز 21 هدف في ترتيب هدافي الدوري. ساهم أبو تريكه في الثلاث سنوات الماضية ومنذ أنضمامه للأهلي في تحقيق الفريق للعديد من الأنجازات والألقاب كان أبرزها فوز الفريق ببطولتين متتاليتين للأندية الأفريقية أبطال الدوري موسم 2005 و 2006 ، كما ساهم بأهدافه في حصول الفريق على برونزية أندية العالم في اليابان 2006. ولعل هدف أبو تريكه في مرمى الصفاقسي التونسي في نهائي دوري أبطال أفريقيا 2006 في تونس، هو الهدف الأغلى في مشوار اللاعب كونه حول أتجاه كأس البطولة في آخر دقيقتين من سوسة إلى القاهرة. وعلى الصعيد الدولي انضم أبو تريكة للمنتخب الأولمبي والمنتخب العسكري في بداياته مع الكرة بنادي الترسانة لكن مشاركاته كانت قليلة نسبياً برغم الإشادة الدائمة بمستواه الفني وأخلاقياته. وبعد انتقاله للأهلي وتألقه اللافت كان من الطبيعي أن ينضم أبو تريكة للمنتخب الوطني الأول. وقد خاض أبو تريكه أول مبارياته بقميص المنتخب في 31 مارس 2004 في لقاء ودي أمام ترينداد وتوباجو أقيم علي استاد المقاولون العرب وفاز المنتخب 1/2. وقد تألق أبو تريكه في بطولتي كأس الأمم الأفريقية (2006) التي استضافتها مصر ، و(2008) التي أقيمت في غانا ، وساهم بشكل كبير جداً مع زملاؤه في حصول مصر على البطولتين لتنفرد بالرقم القياسي في مرات الحصول على اللقب برصيد 6 مرات. وسجل أبو تريكه في بطولة (2006) ضربة الجزاء الحاسمة في ساحل العاج ، ثم نجح أيضاً في (2008) في تسجيل هدف الفوز على الكاميرون. وأما أبو تريكة على المستوي الدولي (- اختير ضمن نخبة من لاعبي العالم لتشكيل ما يسمى بمنتخب العالم وذلك لأداء مبارايات ودية يخصص دخلها للأعمال الخيرية تحت إشراف الأمم المتحدة. - أكثر لاعب شعبية في العالم حسب تصنيف الاتحاد العالمي لتاريخ وإحصاءات كرة القدم (IFFHS) مرتين علي التوالي عام 2007م وعام 2008م - تقدم أبو تريكة إلى المركز العاشر في قائمة هدافي العالم لعام 2008م التي يصدرها الإتحاد الدولي للتأريخ والإحصاء بعد أن كان في المركز الـ 22 وذلك بعد أن ارتفع رصيده إلى 11 هدفا دوليا خلال شهر نوفمبر 2008م. - كما حصل أبو تريكة في فبراير 2009 جائزة هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) لأفضل لاعب كرة قدم في أفريقيا لعام 2008م. - وقامت الفيفا باختياره أخيراً ضمن فريق منتخب القارات في بطولة كأس القارات 2009 التي انتهت في يونيو 2009م. فأبو تريكة صعيدي!

**** الفقيه محمد بن محمود فرغلي ، ولد في بني زيد. أسيوط عام 1932م ، وتوفي 1994م . وهو فقيه متمكن له كتب منها على سبيل المثال (حجية الإجماع – النسخ بين الإثبات والنفي – بحوث في السنة – بحوث في القياس – بحوث فى الأصول). ** إبراهيم رفعت باشا بن الشريف سويفي. ولد في أسيوط عام 1857م ، وتوفي عام 1935م. كتب (مرآة الحرمين). ** المؤرخ إبراهيم رمزي بن محمد رمزي. ولد في الفيوم عام 1867م ، وتوفي 1924م ، له كتب**

أدبية وديوان شعر أيضاً. ** القاضي المفتي أحمد بن إدريس بن حسن بن بدوي. الذي توفي عام 1300هـ ، ذلك الفقيه الحنفي الذي ذاع صيته في زمانه. ولد في الفشن بصعيد مصر وعاش فيها. ** الأديب الفقيه أحمد زناتي بك بن سراج بن مدين. المولود في بلدة بني حسن بالمنيا عام 1870م ، والمتوفي عام 1929م ، ألف كتبا شرعية وأدبية منها (الدين القويم – الهداية إلى الدين المستقيم – وغيرها من الكتب الشرعية والرسائل والنصائح والمواعظ الطيبة السلسة الأسلوب). ** أحمد بن محمد رافع الطهطاوي المولود في طهطا عام 1859م ، والمتوفي عام 1936م. هو عالم فقيه له كتابات. ** الأديب الشاعر الشيخ أحمد بن مفتاح بن هارون بن أبي النعاس العماري ولد في 1857م في نزلة عمر بالصعيد . له مؤلفات كثيرة أدبية وشرعية ، وله ديوان شعر ، توفي في 1911م . **المفكر المبدع الكبير رشدي فكار ، ولد في الكرنك – قنا في 1928م ، وتوفي عام 2000م ، له 50 كتاب ودراسة وترجمة عن الإسلام والحركة الإسلامية المعاصرة. ** صلاح مخيمر ، من كبار علماء النفس المصريين ولد في عام 1922م في المنيا ، وتوفي 1988م. له مجلدات في مجال تخصصه الذي هو علم النفس والتحليل النفسي. ** عبد الكريم الخطيب ، ولد في قرية الصوامعة غرب طهطا التابعة لجرجا – سوهاج - ، وهو صاحب (التفسير القرآني للقرآن) ويقع في 6 مجلدات في 8000 صفحة ، وله أيضاً (سد باب الاجتهاد – القصص القرآني - الإعجاز القرآني العلمي – المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن) وغيرها من الكتب الجيدة . ** أحمد محمد بدوي ، ذلك المؤرخ الآثاري اللغوي ولد في قرية (أبو جرج) – بنى مزار – المنيا. وكانت للأستاذ عناية كبيرة بالكتابة في الآثار واللغة العربية والتاريخ بكل عصوره. ** أحمد عبد المجيد هريدي ، الذي هو مفتي مصر ، القاضي اللغوي. ولد في بلدة النقاعي – بني سويف. من كتبه (تلخيص كتاب المقولات لابن رشد) وغيره من الكتب الشرعية والأدبية. **عدلى فهيم ، الذي هو من رواد الإخراج الفني الصحفى. ولد في محافظة المنيا. وكانت له إسهامات فى مجال الصحافة. طبعاً هؤلاء الأعلام على مستوى الفكر والثقافة. وأجعلهم ملحقاً في تقديمي هذا لمقدمة (الصعايدة وصلوا 1). وأفتح الآن صفحة أعلام شعراء الصعيد فأقول: إن الحديث عن شعراء الصعيد في القديم والحديث حديث ذو شجون وذو شؤون. إذ إن لهم بى ارتباطين: فأما الأول فكوني مثلهم من أبناء الصعيد. وأما الارتباط الثاني: فلأني مثلهم شاعر. وهذا الكلام عنهم جاء بعد دراسة وثائقية دقيقة ، استقصت أخبارهم من دوائر المعارف وكتب التراجم والتاريخ. فما من شاعر صعيدي ، في القديم أو الحديث سمعت به ، وقد وقفت عليه ، وانتهى إليه علمي ، إلا وأثبتّ ها هنا شيئاً عنه ، حتى أثبتَ للناس أجمعين أن أهل الصعيد قوم عندهم إحساس وشعور وعاطفة وذوق فني ، وقدرة على كتابة الشعر وصناعة الأدب وصياغة النثر! ومن هؤلاء الأعلام الشعراء الأدباء على سبيل المثال: ** الشاعر محمد بن عبد الرحمن بن محمد النخعي المتوفى عام 1287م والملقب بخطيب قوص الفذ ، ولد في قوص – قنا. ** الشاعر محمد عبد الرحمن محمود صان الدين ، المولود في برديس – سوهاج عام 1923م له دواوين منها (أعاصير وأنام – شوارد وسوانح – في بحار الكون) وبها شعر جيد. **إبراهيم رمزي بك ، ولد في الفيوم وأنشأ مجلة (الفيوم) ، وألف (تاريخ الفيوم) ، وأصدر في فرنسا بعد ذلك مجلة (المرأة فى الإسلام) ، وسخر شعره كله في الذود عن الإسلام والعقيدة. ** إبراهيم بن محمد بن إبراهيم فخر الدولة الأسواني ، هو أول من كتب الإنشاء للملك الناصر صلاح الدين بن أيوب بن شاذي ثم لأخيه الملك العادل وهو بكل المقاييس شاعر قدير مطبوع. **الشاعر الدكتور أحمد ابراهيم

درويش ، من الجيزة. له كثير من المحاولات في الشعر. عمل معيداً فأستاذاً بكلية دار العلوم وساهم في تكوين (الجمعية المصرية الأدبية للأدب المقارن). وقد حصل على جوائز كثيرة في مجالي الأدب بعامة والشعر بخاصة. **الشاعر أحمد بن إبراهيم الشريف. من أسوان ، له ديوان شعر (صور وعبر) ، وله دراسات فى الشعر الإنساني وأدب العقاد. **الشاعر أحمد بخيت أحمد بخيت ، ولد في أسيوط. له ديوان (لا تسألي) ، وديوان (وطن بحجم عيوننا) ، ونقد أدبي حجل فيه واسعاً حول عدد من القضايا. **الشاعر عبد القادر الفيومي ، المتوفي 1613م شاعر فقيه فرضي حاسب. ذاع صيته في زمانه. وهو من أهل الفيوم. **عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك الأنصاري الأرمنتي. ولد في أرمنت (قنا) عام 1234م وتوفي في قوص. له (نظم تاريخ مكة للأزرقي) ، وهذا على طريقة الرجز. وله أرجوزة في الحُلي. **الشاعر عبد الوهاب عزام ، ولد في الشوبك من قرى الجيزة عام1959م. له أشعار جيدة غنية عن أن يمتدحها مثلي. **الشاعر عز العرب عبد الحميد ثابت حسين ، ولد في قوص وهي من أعمال قنا ، عام 1947م. له شعر عظيم (اجتماعى). **الشاعر على بن السيد الجندي ، ولد في جزيرة شندويل – سوهاج عام 1900م ، وكان عميد جامعة القاهرة عام 1950م ، له 30 مؤلف في الأدب العربي . كما أن له دواوين شعرية: منها (أغاريد السحر – ألحان الأصيل – ترانيم الليل – شعر الحرب – فن التشبيه – أدب الربيع – خمسة أيام في دمشق الفيحاء). **الشاعر محمد عبد المطلب بن واصل ، من أسرة (أبي الخير) من جهينة – سوهاج ، ولد في باصونة (جرجا – سوهاج) عام 1871م وتوفي عام 1931م. له ديوان شعر كبير معروف. **الشاعر محمد عزت الطيري ، ولد في نجع حمادي بالصعيد عام 1953م . وله دواوين منها (تنويعات على مقام الدهشة – دع لي سلوى – الطريق السهل المقفل – عد لنا يا زمان القمر – فصول الحكاية – أحزان شاعر قروي) ، ويغلب عليها الواقعية. **الشاعر محمد فوزى بن محمد أحمد العنتيل ولد في علوان – أسيوط عام 1924م وتوفي عام 1981م . وله دواوين: (عبير الأرض – رحلة في أعماق الكلمات) وشعره واقعي. **الشاعر محمد قدري باشا ، ولد في ملوي – أسيوط 1821م وتوفي عام 1888م. وله ديوان كبير من الشعر الأصيل. **الشاعر حزين عمر محمد ، ولد في الفيوم عام 1963م . له (اليوم العاشر) ، وشارك في إنشاء (جماعة الجيل الجديد) الفكرية ، وهو عضو نقابة الصحفيين المصرية. وأشعاره ثورية تميل في أغلبها للطابع الحماسي وتهدف إلى إيقاظ همم الجماهير ومشاعرهم. **الشاعر خليل إبراهيم خليل إبراهيم فواز ، ولد في قرية العسيرات – سوهاج عام 1942م ، له دواوين (مصر الحرب والسلام – الغرفة الخالية – وجه الحب القديم – رفقاً بقلبي – قلبي أنا) ، ورواية (النسر الجسور). وشعره درامي جداً. **الشاعر درويش حنفي الأسيوطي ، ولد في 1964م في قرية الهمامية – أسيوط. له دواوين (أغنية لسيناء – أغنية رمادية) ، وله أيضاً مسرحيات هادفة كثيرة في أدب الأطفال. **الشاعر ربيع عبدالعزيز أحمد ، ولد في الفيوم 1945م ، وله دواوين (سؤال في زمن السامري – خيمة على الورد) ، حصل على جائزة أحسن قصيدة من قصر ثقافة الحرية بالإسكندرية. **الشاعر سعد عبد الرحمن أحمد عمر ، ولد في أسيوط عام 1954م ، منح عدة جوائز في مسابقات وأمسيات شعرية ، له قصائد رائعة الفكرة تنحو صوب التجديد في قالب الشعر. **الشاعر محمد خلف الله أحمد ، ولد في قرية العمرة من أعمال سوهاج عام 1904م ، وله أشعار وأبحاث إسلامية هامة. **الشاعر محمد بن خليل الخطيب ، ولد في نيدة – سوهاج مركز أخميم ، له أبحاث وأشعار يغلب عليها التوحيد ، وأيضاً حارب في أشعاره

وأبحاثه أهل التصوف والدروشة وأنكر عليهم ما يأتونه من مخالفات شرعية. **الشاعر الدكتور محمد السيد يسن أبو دومة ، ولد في 1944م بسوهاج. وهو عضو اتحاد أدباء مصر ، وعضو اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا. من دواوينه (المآذن الواقعة على جبال الحزن – السفر في أنهار الظمأ – الوقوف على حد السكين – أتباعد عنكم ، فأسافر فيكم – تباريح أوراد الجوى) ، وأغلب شعره جيد. **الشاعر محمد الصادق عرجون ، ولد في أسوان عام 1903م ، وهو غني عن التعريف ، لما له من عظيم مشاركات ودراسات في التصور الإسلامى وواقع الإسلام المعاصر. كما أن له دراسة جيدة في السيرة النبوية. **الشاعر محمد صالح مجدي ، ولد في أبو رجوان – الجيزة – عام 1827م. وله ديوان شعرى احتوى على كل أشعاره. **الشاعر محمد عادل أحمد ، ولد في الأقصر عام 1933م له ، (المقعد الرخامي) ومسرحية شعرية بعنوان (الحساب). ** الشاعر جعفر بن تغلب بن جعفر الأدفوي أبو الفضل كمال الدين ، مؤرخ شاعر أديب فرضي فقيه. له (الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد) وهو كتاب التراجم لرجال عصره (1347م) ، وله (البدر السافر وتحفة المسافر) وهو مجلدان. وله (فرائد الفوائد في علم الفرائض) وله أشعار عذبة. ** الشاعر جمال عطا أحمد ، ولد في منفلوط - أسيوط. كان قد نشر العديد من أشعاره في المجلات والدوريات والجرائد العربية ، له ديوان (وداعاً شاطئ الذكريات). ** الشاعر جميل بن محمود عبد الرحمن بن عيسى ، ولد في سوهاج عام 1948 م له (شواطئ المجهول - عذابات الميلاد الثاني – لماذا يحولون بيني وبينك؟ - أزهار من حديقة المنفى - تموت العصافير لكي تبوح – ابتسامة في زمن البكاء). أخذ العديد من الجوائز والميداليات في الشعر. ** الشاعر أحمد بن محمد بن عبد الحق القوصي المولود في قوص. وشعره أغلبه في الزجل ، وامتاز بالفكاهة المذهبة. ** الشاعر أحمد محمد علي جامع ، ولد في نجع حمادي ، ونشر العديد من القصائد في المجلات والجرائد المصرية. له دواوين شعرية (إنما أنت لي – أنا والمدينة) ، ومسرحية (من الذي قتل الإمام؟) وأشعاره ذات طابع اجتماعي درامي وواقعي. ** الشاعر الأديب أحمد بن محمد بن نجيب حسن ، ولد في الجيزة عام 1928م ، وله ديوان في أدب الأطفال أسماه: (ديوان أحمد نجيب للأطفال الناشئين) ، وله كتب كثيرة في أدب الأطفال والناشئة ، مثل (مغامرات عقلة الإصبع) وأيضاً (مغامرات حول العالم) ، وكذلك (دائرة المعارف العالمية في أدب الأطفال) وحصل على جائزة الملك فيصل في الأدب. ** الشاعر محمود سامي باشا بن حسن حسني بن عبد الله البارودي المصري ، ولد في إيتاي البارود عام 1839م ومات عام 1904م ، واشتهر باسم (البارودي رب السيف والقلم). ** الشاعر محمود عبد الوهاب الأبنودي المتوفي عام 1978م ولد في أبنود - قنا له أشعار جيدة يغلب عليها التدين. ** الشاعر محمود محمد بكر هلال ، ولد في قرية الشيخ مكرم مركز سوهاج عام 1914م وله ثلاثة دواوين ، وله أربع تمثيليات شعرية مطبوعة هي (فلسطين - المولد النبوي الشريف - كتب عليكم الصيام – عيد الأم) ، ويغلب على شعره الطابع الإسلامي العف. ** الشاعر أحمد موسى بن موسى بن محمد عز الدين المعروف بابن قرصة ، وهو شاعر أديب ولد أديب ولد في الفيوم عام 1302 م ، كان ناظر الليوان بقوص والإسكندرية. له ديوان شعر يقع في أربع أجزاء ، وكتاب في الأدب سماه (نتف المذاكرة ونكت المحاضرة). ** الشاعر الشاب أسامة محمد محمود محمد العربي ، المولود في بني سويف والمتخرج من كلية دار العلوم عام 1381هـ له ديوان (غص بالسؤال) ، وأقام العديد من الندوات الشعرية. وأقام الأمسيات والمناقشات والمؤتمرات الأدبية. ونال العديد من

الجوائز المالية في الإلقاء ، وحصل على عدد من النياشين والميداليات في الشعر من هنا وهناك. ** الشاعر صبري أبو علم عبد الله أحمد بدوي ، ولد في طهطا – سوهاج عام 1942م وهو عضو اتحاد كتاب مصر وعضو جماعة الطليعة وعضو جماعة أقلام الصحوة ، له عملان دراميان (باقة من الوفاء – باقة حب) ، وله أيضاً (عطر الأيام - البحروالرجال). والرجل ذائع الصيت والشهرة في أنحاء مصر. ** الشاعر نور سليمان أحمد ، ولد في أهناسيا المدينة - بني سويف عام 1959م. له أيضاً (أحياناً يغضبني النهار). ** الشاعر وصفي صادق مينا المولود عام 1940 م في بني مزار المنيا. له (المراهنة على جواد ميت - حق اللجوء إلى الجنون - البكاء في أرض منزوعة الدموع - بكائيات في المنفى). ** الشاعر يحيي بن محمد بن محمد بن أحمد المناوي. من منية بني خصيب بالصعيد وهو من كبار شعراء 1467م. ** الشاعر أشرف بن عثمان بن عبد العال أبو جليل ولد في أطسا - الفيوم عام 1967م. نشر قصائده في عدد من المجلات والدوريات والجرائد العربية. له (شجرة البدايات) وحصل على المركز الأول بجامعة القاهرة لعدة أعوام 87، 88 ، 1989م ، وعلى المركز الثاني في الثقافة الجماهيرية ، وعلى المركز الأول من المجلس الثقافي البريطاني في مسابقة أفضل قصيدة. ** الشاعر ثابت بن فرج بن عبد الرؤوف بن علي الجرجاوي من أهل جرجا - سوهاج كان قد تخرج بالأزهر ، وترأس الجمعيات المناوئة للاحتلال عام 1919م ، أيام سعد زغلول. ونفي عنوة إلى مالطة ، وله (النبراس في تاريخ الخديوي عباس).** الشاعر محمد الأمين محمود سيد شرف الدين ، ولد في منيل السلطان أطفيح – الجيزة عام 1952م. له ديوان بعنوان: (مسافر في الكلمات) كتب الشعر العمودي والعامي والتفعيلة. ** الشاعر محمد بخيت الربيعي ، ولد في جهينة - سوهاج ، عام 1927م ، وله ديوان: (جراح وبلسم). ** الشاعر الدكتور محمد أبو الفضل بدران ولد في العويضات مركز قفط - قنا ، وله شعر جيد مستقى من الواقع المعاش. ** الشاعر محمد توفيق بن أحمد علي العسيري العباسي ولد في زاوية المصلوب من قرى بني سويف 1887م ، له شعر ممتاز ضمنه كله في ديوان كامل اسمه (ديوان توفيق). ** الشاعر الكبير محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس ، والشهير بحافظ إبراهيم - شاعر النيل. ولد في 1871 م في ديروط – أسيوط ، ومات 1932 م. وله ديوان (حافظ إبراهيم). ورثاه أمير الشعراء أحمد شوقي بقصيدة هي من عيون شعر العرب الجيد في العصر الحديث بشهادة النقاد. ** الشاعر محمد حامد أبو النصر ، ولد في منفلوط - أسيوط عام 1913 م وله شعر جيد يغلب عليه الطابع الإسلامي. ** الشاعر محمد حسن العمدة 1941م في الرقبة - دراو - أسوان ، له أشعار جيدة يغلب عليها الطابع الاجتماعي والواقعي. ** الشاعر أحمد رافع بن محمد بن عبد العزيز الطهطاوي ، ولد في طهطا من أعمال جرجا - سوهاج ، له كتب أدبية بل وشعرية نقدية جليلة ، وله أيضاً في التراجم والسير والتاريخ. ** الشاعر أحمد سيد نبوي سليمان ، ولد في قرية الحريشي من أعمال الفيوم ، وله (شهادة حب) كما له إذاعيات. ** الشاعر احمد عبد الرحيم الطهطاوي من طهطا ، له ديوان كامل في المدائح النبوية ، وله كتب في العروض والقافية. ** الشاعر أحمد محمد حسن علي ، ولد في قوص- قنا وحصل على بكالوريوس العلوم الجيولوجية ، كتب القصة والقصيدة والمسرحية. له مسرحية (أبواب النصر) ، وديوان (من يكنز الحب) وأيضا ديوان (أغنيات جنونية) ، ولقد نال بجدارة جائزة الدولة في الآداب في أدب الأطفال عام 1991م. ** الشاعر محمد بن محمد بن حامد الجرجاوي المراغي من أهل جرجا - سوهاج ، ولدعام 1866م ، وتوفي عام 1936م. له شعر

جيد. ** الشاعر أمين الديب ، واسمه الأصلي (محمد عبد الحسيب الديب) ، من قرية تكلا – بمنطقة إمبابة – الجيزة ، من مواليد 5- 4 – 1937م ، مؤهل متوسط. شاعر يعزف على أوتار الهم الوطني والوجع القومي. ويعرف بشاعر المصطبة. كتب أول قصيدة عام 1954م بعنوان (ملحمة). ومن عام2000م بدأ يكتب عن الانتفاضة الفلسطينية التي أثرت على كتابته بشكل ملحوظ. وهو عضو في اتحاد كتاب مصر. وعضو جمعية الأدباء وعضو اللجنة الشعبية لمقاومة المشروع الصهيوني الأمريكي وعضو رابطة الزجالين. وإن كنت أختلف مع الشاعر أمين الديب في العامية التي يكتب بها ، ولكنني أراه قمة في الإبداع والتأليف. رزقنا الله تعالى وإياه طول العمر وحسن العمل. ** الشاعر محمد مصطفى البسيوني المولود في الفيوم عام 1928م ، وله شعر جديد ذو طابع درامي ووجداني وعاطفي. ** الشاعر محمد بن ناصر الدين بن على البلْيَني من شعراء الريحانة ، ولد في البلْينا - سوهاج وتوفي عام 1961م. ** الشاعر محمود أحمد عمر ، ولد سنة 1919م في قرية العليقات – قوص - قنا ، له ديوان كامل من الشعر العربي ، وله مسرحية شعرية بعنوان (كفاح الشعوب في صد الاستعمار). ** الشاعر أحمد على سليمان عبد الرحيم ، ولد في بورسعيد ، في 15/ 10/ 1963م. تخرج من كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - دفعة مايو سنة 1985م. له اهتمام بالغ بالأدب الهادف الجاد: نثره وشعره ونقده. كانت له صفحة يومية بجريدة (الوحدة) الصادرة في (أبو ظبي) بدولة الإمارات العربية المتحدة عنوانها: دوحة الوحدة الأدبية ، (في الفترة من 1993م حتى 1996م ، نشر الشاعر عبرها جُل إنتاجه الأدبي والشعري) ، موضوعها هو الأدب العربى تراثه أصالته ونهضته وتطوره. صدر له ثلاثة عشر ديواناً: * الأول بعنوان (نهاية الطريق) ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. وهو باقة من القصائد ذات الطابع الاجتماعي والنقدي البناء ، ويغلب على جُلها الإيقاع الوجداني ذو الخلفية الدامعة الباكية. والثاني: بعنوان (عزيز النفس – قصائد إلى عيني) ، وهو باقة من القصائد الجنائزية ذات الإيقاع الشجين ، حيث إنه كتبها على سرير المرض ، عقيب حادث سيارة أسفر عن إصابته في مقلته اليُسرى ، تلك التي أجريت لها أربع جراحات ، أودت بها في نهاية المطاف! وأحدث ذلك عنده ما يعرف بأنه قشعريرة الشعر ، فكتب على كل بحور الشعر العربي ، أصيلها وكذلك مولدها ، وما يسمى زوراً وبهتاناً بشعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر أو الشعر الحر أو الشعر الحديث ، وكلها تسميات لهُراء دخيل على لغة العرب ، وإنما دعانا لمحاكاتها ضرورة التصنيف الفني فقط. حتى يكون قد رثا عينه بكل بحور وأوزان شعر العرب ، حتى ما هو دخيل عليهم! فيكون قد رثا عينه - التي فقدت الإبصار من جرّاء ذلك الحادث – بكل أنواع الأوزان على حد ما صرح على غلاف الديوان في طبعته الأولى بالإمارات! والثالث بعنوان (سويعات الغروب) ، ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. والرابع بعنوان: (القوقعة الدامية) ، ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. والخامس بعنوان: (ترنيمة على جدار الحب) ، ويقع في ستمائة صفحة من القطع الوسط. والسادس بعنوان: (الأمل الفواح) ، ويقع في ستمائة صفحة من القطع الوسط. والسابع قصيدة بعنوان: (من وحي الذكريات) وتقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط ، وهي قصيدة أخذت شكل الديوان لطولها ، فقد بلغت ألفا وستمائة بيت تقريباً ، في تأبين المفكر المظلوم والشاعر العملاق والأديب الكبير والصعيدي المفترى عليه صاحب المعالم والظلال. وطول مقدمتها الذي تجاوز المائتين من الصفحات ذات القطع الوسط! والثامن بعنوان: (الصعايدة وصلوا) ، ويقع في أربعمائة صفحة من القطع الوسط. والتاسع بعنوان:

(ذل الجمال) ، ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. والعاشر بعنوان: (ماسحة الأحذية) ، ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. والحادي عشر بعنوان: (دموع التصبر) ، ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. والثاني عشر بعنوان: (عتاب وشكوى) ، ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. والثالث عشر والأخير بعنوان: (فأعضوه ، ولا تكنوا!) ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. وصدرت له دراسات في النقد الأدبي منها: (قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي – قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري – قراءة أدبية في بعض الدواوين الشعرية). وما ينبغي لي أن أقدم نفسي! ولكن لما لم يكن الزمان زمان الشعر ولا الشعراء ، ولا المكان مكان الشعر ولا الشعراء ، فعلتُ ذلك. وتكفيني إشادة الشاعر الكبير والأديب العملاق الدكتور عدنان النحوي بي وإجازته لي كشاعر. وهذا كلام لا أفتريه على الرجل ، بل سجله في أكثر من ديوان له مثل (عبر وعبرات) و(إشراقة وأمل). وأيضاً إجازة الشاعر الكبير الأستاذ سالم محمد سالم النوبي ، من أهل أجا – دقهلية الكرام. ولقد انتقد كثيرون نسبتي إلى أهل الصعيد ، وأنا الذي ولدت في بورسعيد ، وعشت في الشمال المصري ودرست في المنصورة وهاجرت إلى الإمارات! إنني أقول لهؤلاء ، لئن كنا نعيش في زمان عنترة ، حيث نسب لأمه زبيبة ، فلكم ما تريدون ، وأمي من عائلة سماحة من أعيان الدقهلية ، أقول ذلك من باب التحدث بنعمة الله ، (وأما بنعمة ربك فحدث) ، لا من باب الفخر والخيلاء وتزكية النفس. وإنني لأحمد الله على ذلك. ولئن كنا ننسب إلى الآباء (فينسب الولد لأبيه الذي يحمل اسمه) ، فإن أبي من الكولة مركز أخميم – سوهاج ، ومن سوهاج أبوه سليمان وجده عبد الرحيم وجده حمد ، والكل منحدرون من بيت خليفة وإليه ينسبون. هكذا أخبرني أبي الذي كان يفتخر ويفاخر بهذا النسب أيضاً من ذات الباب الذي هو التحدث بنعمة الله عليه ، أن الله قد من عليه بنسب كريم لا وضيع وببيت جليل القدر شريف المنبت أصيل المحتد معلوم الهوية في صعيد مصر. وإذن فأنا صدقاً منتسب إلى أبي (صعيدي ابن صعيدي ابن صعيدي). وذات يوم من أيام شتاء عام 2000م كنت ضيفاً على مدير مدرسة أم القرى الأستاذ عطية أحمد عبد العال في مكتبه وإذا عنده الأستاذ إبراهيم الخرجي مدير منطقة أم القيوين التعليمية ، فلما قدّمه لي وقدمني له ، كان من جملة ترحيبي به أن قلت له: (يا هلا ومرحب بالعرب) ، فانتفض من مكانه ، وقال: (بل أنتم العرب! فقلت: وهل الانتساب إلى العرب سُبة؟ قال: لا ، ولكنني عنيتُ أنك كمصري عربي ابن عربي ابن عربي ربما إلى أن نصل إلى آدم عليه السلام ، هذا من ناحية الأب ، وكذلك من ناحية أمك فأنت ابن عربية بنت عربي ابن عربي ابن عربي إلى أن نصل إلى آدم كذلك! فإن عمدت إلى محاكاة ذلك على سواك ، فلربما انقطعت هذه السلسلة النسبية عند الجد الأول من ناحية الأب أو الأم أو كلاهما! ** ونختم بالشاعر القدير محمود حسن إسماعيل ، ولد في 1910م في النخيلة - أسيوط وتوفي عام 1977م. وله دواوين منها: (أغاني الكوخ - رياح المغيب - أين المفر؟ - نار وأصفاد - قاب قوسين - لا بد – التائهون – هدير البرزخ – صلاة ورفض – السلام الذي أعرف - نهر الحقيقة - موسيقى من السر). والحمد لله أن محافظتنا الحبيبة (سوهاج) قد قدمت الكثير والكثير من هؤلاء الشعراء والعلماء والأدباء! ولا يفوتني هنا أن أنبه هنا إلى أنني يمكن أن أكون قد أوردت هنا بعض الشعراء النصارى أو بعض الشعراء العاميين أو شعراء قد اختلف معهم في التصور والفهم ، فضلاً عن البناء الشعري ، ولذلك فليُعلم أن هذا مني كان من قبيل السهو أو الخطأ أو الجهل بحالهم أو ما غلب على الظن. وإنما أنا أنتصر لأهل الإيمان والتوحيد ، من أهل الصعيد

الأجلاء ، كما أن غير المسلمين لهم أن يفتخروا بشعرائهم! فعلتُ ذلك لأثبت للعالم أجمع أن الصعايدة أو الصعيديين وصلوا إلى الذؤابة في العلم ، والقمة في الأدب والفكر والثقافة! وأعتذر لفضلاء أهل الصعيد من الذين لم أذكرهم لعدم تمكني ، فلربما في طبعة قادمة للديوان استدركنا فألحقنا فضلاء آخرين لتكون المقدمة مائة صفحة بدلاً من عشر صفحات ، حباً في أهل الصعيد وكرامة لهم! وأعتذر عن طول التقديم الذي كان الهدف منه التوثيق أكثر من التقديم للجو النفسي والمشاعري للنص. وكنت قد صممت على أن تكون المقدمة والإهداء والتمهيد والافتتاح والخاتمة شعراً لا نثراً! إمعاناً مني في تكريم أهل الصعيد والاحتفاء بهم. كما أنني اجتهدت أن يُصاغ هذا الديوان على كل بحور الشعر العربي الخليلية اكتشافاً والتي عددها ستة عشر بحراً! وأعتذر اعتذاراً قلبياً حاراً لطول المقدمة التي دعا إليها أهمية الموضوع وعظم شأنه!)

أهـــلُ الصـــعيد إلـــى أوج العـــلا وصـــلوا ... والنـــاسُ تعلـــم مـــا حـــازوا ومـــا حصـــلوا

إذ قـــدّموا العلـــم والأخـــلاق مـــذ وُجـــدوا ... وفـــــي المعـــــالي هـــــمُ الأماجـــــدُ الأول

شـــادوا الحضـــاراتِ كـــالأطواد شـــامخة ... وتشـــــهد النـــــاس والأزمـــــان والـــــدول

ووطـــدوا المجـــد فـــي ريـــفٍ وفـــي حضـــر ... ولـــم تعُـــق ســـيرهم نحـــو العـــلا الغِيَـــل

هـــمُ المغـــاوير لا تلـــوي عمـــائمهم ... علـــى الركـــون لمَـــن فـــي جـــدهم هزلـــوا

وهـــم علـــى بعضـــهم سِـــلمٌ ومَرحمـــة ... سَـــمنٌ يخالطـــه - فـــي جَـــرّة – عســـل!

وهـــم خمـــيسٌ علـــى عـــدوهم لجـــبٌ ... ولـــيس يصـــرفهم - عـــن حقهـــم - خجـــل

وهـــم أســـودٌ علـــى مـــن نـــال شِـــرعتهم ... لأن ذلـــــك ممـــــا لـــــيس يُحتمـــــل

وهـــم عبـــاقرةٌ فـــي كـــل معتـــركٍ ... والنـــاسُ دومـــاً - بجهـــد الصِّـــيد - تحتفـــل

وهـــم بواســـلُ إن خاضـــوا معـــاركهم ... فـــلا يُثـــبِّطَهم خـــوفٌ ولا وَجـــلُ

وهـــذه كتـــبُ التـــاريخ شـــاهدة ... بـــأنهم صُـــبُرُ فـــي الحـــرب إن نزلـــوا

والنصـــر رائـــدُهم فـــي كـــل خندمـــةٍ ... مهمـــا تبعثـــرتِ الغايـــاتُ والسُّـــبل

يُكبـــدون العِـــدا ، ولـــيس تأخـــذهم ... بجنـــدهم رُحُـــم ، فـــإنهم سَـــفَل

ومـــا اســـتكانوا لجبـــار ، أوامـــرُه ... فـــي كـــل صُـــقع مِـــن الأصـــقاع تُمتثَـــل

بـــل جنـــدلوه وأجنـــاداً لـــه همَجـــاً ... وتلـــك عُقبـــى الألـــى بالســـوء قـــد شُـــغِلوا

وما استبدوا برأي في مجادلةٍ ... كم يقتل الحقَّ رأيُ الفرد والجدل!

بل المشورةُ - في الأمور - ديدنُهم ... ومن هنا وحدة القرار تكتمل

قبائلٌ أسلمتْ لله ، واتبعتْ ... هُدى الرسول ، فلا جهلٌ ولا خَبَل

وسادةٌ رفعوا لواء وحدتهم ... والجمع - صدقاً - على الرحمن يتكل

أمجادُهم في ربوع الأرض يانعةٌ ... تَزِينها القيمُ الشهباء والمُثُل

قَراؤهم تملأ الدنيا قراءتُهم ... وإن يكن عُمُدُ القراء قد رحلوا

هم الأساطينُ - في القرآن - تحسَبهم ... صحابة من مَعين الوحي قد نهلوا

بلابلٌ صدحتْ بالذكر في ألق! ... صوتٌ تُرجّعه الأطيار والجبل

وفي القراءات أنغامٌ مرتلةٌ ... إلى المليك - مدى الأزمان - تَبتهل

يُحبّرون كتاب الله في مللٍ ... بما تسامِرُه أسماعُهم عملوا

واسأل أثير إذاعاتٍ تقدِّمهم ... وعند جمهور مَن يُصغي لهم ثِقَل

يُعطرون إذاعاتٍ تتيهُ بهم ... فهؤلاء لِوا القرآن قد حملوا

فمن يباري الألى بالسؤدَدِ انفردوا ... عَز التشبيه ، وعز المِثل والمَثل

أراهمُ استأثروا بالمجد أجمعه ... لا يستوي قارئ القرآن والهَمَل

نعمَ الرواياتُ قد أدوا شرائطها! ... بل استقاموا على الشروط ، واعتدلوا

قرّاؤنا من قرى الصعيد كوكبةٌ ... من الغطاريف مهما شَوَّش السَّفل

وفي الصعيد نحاريرٌ أساتذة ... بالعلم عن زهرة الحياة قد شُغلوا

ما رقّعوا عيشهم يوماً بشِرعتهم ... شأنَ الذين برب الناس قد عدَلوا

عاشوا لنصرة دين الله في ثقةٍ ... وبالحنيفة - رغم الجوع – ما أكلوا

باعوا النفوس لمولاهم بجنته ... ففي الجنان رغيدُ العيش والظّلل

واستعذبوا الموت في سبيل عزتهم ... وعن شهادتهم لمّا يكن حِول

مَن لم تكن في سبيل الله مِيتَتُه ... يمتْ رخيصاً ، وبعد الموت يُرتذل

كـــم مـــن شـــهيد ثـــوى ، وصِـــيته حســـنٌ! وكـــم يُمتَّـــع بالحيـــاة مَـــن ســـفلوا!

والعلـــمُ يرفـــع أقوامـــاً بـــه شـــغفوا ويَخفـــض الجهـــل مـــن أعيـــاهمُ الكســـل

جـــاد الصـــعيدُ بـــأعلام لهـــم شـــرفٌ بهـــم تحقـــقَ للخلائـــق الأمـــل

أســـفارُهم - بصـــحيح العلـــم - قـــد طبعـــتْ لأنهـــم بلبـــاب العلـــم مـــا بخلـــوا

بـــل نـــاولوه لمـــن يريـــد تبصـــرة والله يعلـــم كـــم جـــادوا وكـــم بـــذلوا!

فـــي كـــل لـــون مـــن العلـــوم قـــد نبغـــوا وذي مـــآثرهم للمقتفـــي رُسُـــل

وفـــي القـــريض لهـــم بـــاعٌ وتجربـــةٌ وشـــعرُ معظمهـــم – والله - معتـــدلُ

لـــم يعمـــدوا لخســـيس الشـــعر ينظمـــه مستشـــعرٌ قـــذرُ التفكيـــر مبتـــذل

وفـــي الـــدواوين شـــعرُ الصـــيد مؤتلـــقٌ الوصـــف والمـــدح والرثـــاء والغـــزل

والفخـــر والنقـــد والهجـــاء دون أذىً والنصـــح ســـام ، وأســـلوب لهـــم جـــزل

وشـــاعر الحـــق قـــد جلـــتْ مناقبُـــه لأنـــه - فـــي الـــذي يـــدعو لـــه - رجـــل

وشـــعره يبعـــث الأطيـــاف وادعـــة ولـــيس قـــط علـــى الأيـــام يُبتـــذل

وفـــي الصـــعيد كفـــاءاتٌ مؤهلـــة قريضـــها عَبِـــقٌ كالغيـــث ينهطـــل

وللصـــعيد - علـــى أشـــعارها - أثـــرٌ وهمـــة شـــمختْ تزفّهـــا النّبُـــل

أرض التقاليـــد صـــاغ الـــدينُ سُـــؤدَدَها والـــدار تشـــرُف بـــالتقوى وتعتـــدل

أرض البطـــولات ، والتـــاريخ مرتصـــدٌ لِمَـــا أقـــول إذا أعمـــانيَ الزلـــل

أرض الكرامـــات فـــي أســـمى منازلهـــا والجـــد يُتحفهـــا ، والكـــدح والعمـــل

أرض المبـــادئ قـــد عـــزتْ بكافلهـــا يـــا ســـعدَ قـــوم لهـــذا الخيـــر قـــد كفلـــوا

أرض الحضـــارات ، والأعـــدا بـــذا شـــهدوا والعصـــرُ يشـــهد ، ثـــم النـــاسُ والأزل

أرض الســـلاطين فـــي شـــتى العلـــوم ، فكـــم إلـــى الخلائـــق نـــورَ العلـــم قـــد نقلـــوا!

واليـــوم أضـــحوا لمـــن يُـــزري بهـــم هـــدفاً وكـــل وغـــدٍ عـــن الأعـــلام يفتعـــل

تُؤلّـــف النكَـــتُ الرعنـــاءُ فـــي وضَـــح ... عـــن الصـــعيد ، وفيهـــا الـــدَّس مرتجـــل

والهـــازلون لهـــم فـــي خوضـــهم طـــرقٌ ... والمجرمـــون لهـــم فـــي جُـــرمهم حِيـــل

والســـــاقطون لهـــــم دفـــــاترٌ ملئـــــتْ ... بالنَيـــل مـــن قمـــم الصـــعيد تُرتـــذلُ

كـــي يُضـــحِكوا النـــاس يغتـــالون ســـادتهم ... وفـــي تطـــاولهم تُدنـــدِنُ العِلـــل

أينســـبون إلـــى الغبـــاء مَـــن رشـــدوا؟ ... وكيـــف يَنســـب مَـــن فـــي الحُكـــم يَختبـــل؟

وكيـــف يَنعِـــتُ بالســـوآى عبـــاقرة؟ ... وهـــل يُجـــرّح آســـادَ الشـــرى الوَعِـــل؟

وكيـــف يَحتقـــر الأبـــاة مَـــن خبثـــوا؟ ... وهـــل يُسَـــدُّ بمـــا قـــالوا بـــه الخلـــل؟

وهـــل يُقَـــيِّم صـــعلوكٌ جهابـــذة؟ ... وســـوف يُخرســـه - إن حـــاول - الفَشَـــل

لـــن يقـــدر الشـــم إلا مـــن يمـــاثلهم ... ولـــيس بـــين الغُثـــا لجَهبـــذٍ مثـــل

تقـــاة أهـــل الصـــعيد الصِّـــيد مـــنهجُهم ... عـــن شـــرع رب البرايـــا لـــيس ينفصـــل

ولا يحـــاكَوْن فـــي ديـــن ولا خلـــق ... لأنهـــم للهُـــدى والنـــور قـــد وصـــلوا

مـــا نَفـــعُ ألـــفِ كتـــاب يســـتهين بهـــم؟ ... وهـــل ســـيحجمُهم عـــن دَورِهـــم زجـــل؟

وهـــل يَضُـــرُّ كـــرامَ النـــاس مـــن فســـقوا؟ ... وهـــل تقـــاةُ الـــورى فـــيمن غـــوى ســـألوا؟

مـــــازال أرذلُ أهـــــل الأرض يلمـــــزُهم ... ويســـتهينُ إلـــى أن ضـــاقتْ بـــه الحِيَـــل

وهـــل يَضُـــرُّ كـــرامَ النـــاس مـــن فســـقوا؟ ... وهـــل تقـــاةُ الـــورى فـــيمن غـــوى ســـألوا؟

والله ســـائل مَـــن فـــي صِـــيتهم ولغـــوا ... والكـــل يومـــاً عـــن الـــدنيا ســـيرتحل

فليســـتعد لمَـــا فـــي القبـــر مـــن مِحـــن ... ربـــاهُ فـــالطفْ ، أنـــا إليـــك أبتهـــل!

الصعيدي عندما يعف

(القناعة يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: (قد أفلح من أسلم ، ورُزق كفافاً ، وقَنَّعه اللهُ بما آتاه). (مسلم). ولذلك قالوا: (القناعة كنز لا يفنى). قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض ، ولكن الغنى غنى النفس). (متفق عليه). وقال: (وارْضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس). (الترمذي وأحمد). ولقد أظهرت دراسة نشرتها صحيفة "ديلي اكسبريس" أن القناعة هي المفتاح إلى حياة سعيدة. ووجدت الدراسة أن القانعين بحياتهم هم أقل الناس احتمالاً للإصابة بأمراض القلب ، والسعداءُ يحمون أنفسهم من الأمراض المهلكة. وأضافت الدراسة التي أجرتها جامعة بريطانية أن القناعة في مجالات معينة من الحياة ، وخاصة الوظيفة والأسرة ، هي أصول صحية إيجابية. روى الدكتور خالد أبو شادي في سلسلته: (هبي يا رياح الإيمان) رسالة (حسن الحسنات) ص 16 عن صعيدي قنوع شهم ، فقال ما نصه: (يُروى أن طالب علم في الأزهر قدم من بلاد الصعيد ، فجلس في حلقة شيخه ، وكانت نفقته قد تأخرتْ من الصعيد ، ففارق حلقة الشيخ ، عساه أن يحصل على كِسراتٍ من الخبز ، فبينما هو يسير إذ دخل في شارع ضيق ، فوجد باباً مفتوحاً ، ووجد مأدبة طعام ، فمد يده إلى الطعام ، وكان من المحشي ، ثم بعد أن تناول قطعة ووضعها في فمه ، تذكّر أنه جاء ليطلب العلم ، والعلم نور ، وأبى أن يأكل شيئاً من هذا الطعام ، وعاد لحلقة شيخه ، وبه من الجوع ما الله به عليم. وبعد الدرس إذا بامرأة تأتي وتكلم الشيخ بكلام لم يفهمه الحاضرون ، ولمّا انصرفتْ قال الشيخ لهذا الطالب: ألك رغبة في الزواج؟! قال: أتهزأ بي؟! والله ما دخل جوفي طعام منذ ثلاثة أيام فكيف أتزوج؟! قال: المرأة توفي زوجها وترك لها ابنة صالحة ومالاً كثيراً ، وتريد رجلاً صالحاً يتزوج البنت ويرعى المال ، فقال الشاب: إن كان كذلك فلا بأس ، فخرجوا جميعاً حتى وصلوا الدار ، فلما وُضع الطعام بكى هذا الشاب! فقال له الشيخ: لم تبكي؟ هل أكرهناك على الزواج؟! قال : لا ، ولكني من سُويعاتٍ دخلتُ هذا البيت لآكل الطعام الذي وُضع بين أيدينا فذكرتُ أنه حرام فتركته لله فأعاده الله لي ومعه عَروس بالحلال).هـ.)

اشـــمخ - بعـــزك - بُكـــرة وأصـــيلا فلقـــد أقمـــت - علـــى العفـــافِ - دلـــيلا

واقنـــعْ - بعيشـــك - هانئـــاً مســـتعففاً فلقـــد ســـلكت - إلـــى النعـــيم - ســـبيلا

واثبـــتْ علـــى درب الفضـــائل والهُـــدى وازرعْ - علـــى تـــاج العُـــلا - إكلـــيلا

وأدمْ صـــلاتك - للمليـــك - تضـــرعاً فلقـــد جـــزاك - علـــى الجميـــل - جمـــيلا

واشـــكرْ لربـــك جُـــوده وعطـــاءه إذ إن للشـــكر العمـــيم قبـــولا

واقـــرأ كتـــاب الله محتفيـــاً بـــه دومـــاً ، ورتـــلْ آيَـــهُ تـــرتيلا

واعمـــدْ إلـــى الصـــدقاتِ وارجُ ثوابَهـــا فالمـــالُ قـــد خوّلتـــه تخـــويلا

وامســـحْ علـــى رأس اليتـــيم تلطفـــاً أبـــداً ، وكـــنْ – للمُعـــدِمين - كفـــيلا

وإلـــى الأرامـــل أحســـننْ تنـــل الرضـــا! وتكـــــون عنـــــد مليكنـــــا مقبـــــولا

وإلـــــى ذوي الحاجـــــات أدّ حقـــــوقهم وانثـــــرْ عطـــــاءك فـــــوقهم مبـــــذولا

وأعِـــرْ - لأهـــل الفقـــر - أذنـــاً تشـــتهي إســـــــعادَهم ، وتزيـــــــدُهم تفضـــــــيلا

وألـــنْ حـــديثك للـــذي - لـــك - قـــد أتـــى يرجـــــو نـــــوالاً ، وابـــــذل المـــــأمولا

واذكُـــــرْ بأنـــــك كنـــــت يومـــــاً مثلـــــه مســـــتهجَناَ - فـــــي ذي الحيـــــاة - ذلـــــيلا

واذكـــــرْ بأنـــــك كنـــــت تنشـــــدُ لقمـــــة وتبيـــــتُ مِـــــن ذلّ الســـــؤال علـــــيلا

واذكـــــرْ بأنـــــك كنـــــت ترجـــــو شـــــرْبة وتظـــــل - مـــــن لهـــــب الظمـــــا - متبـــــولا

واذكـــــرْ بأنـــــك كنـــــت تطلـــــبُ مســـــكناً ترتـــــاحُ فيـــــه - مـــــن العنـــــاء - قلـــــيلا

واذكـــــرْ بأنـــــك كنـــــت تأمـــــلُ ملبســـــاً فـــــإذا ثـــــوى ، لـــــم تبـــــغ عنـــــه بـــــديلا

واذكـــــرْ بأنـــــك كنـــــت أفقـــــرَ أيّـــــم لمّـــــا تكـــــنْ إحـــــدى يديـــــه الطَـــــولى

واذكـــــرْ مُكوثـــــك فـــــي الخلائـــــق واجمـــــاً تهجـــــو القنـــــوط ، وتنقُـــــدُ التنكـــــيلا

واذكـــــرْ ســـــؤالك مَـــــن يَـــــدل بمالـــــه حتـــــى قـــــلاك ، وكـــــان بعـــــدُ بخـــــيلا

واذكـــــرْ وقوفـــــك – بالمفـــــارق - ســـــائلاً والنـــــاسُ تمقـــــتُ طالبـــــاً وسَـــــؤولا

واذكـــــرْ تزلّفـــــك الحيـــــيّ تريـــــدُهم أن يُكرمـــــوك ولا يـــــردّوا الســـــولا

واذكـــــرْ دموعـــــك يـــــوم ســـــالت تشـــــتكي ضـــــنكَ الحيـــــاة وســـــيفها المصـــــقولا

واذكـــــرْ أنينـــــك مِـــــن مُكابـــــدة الضـــــنا واذكـــــر ســـــتار حيائـــــك المســـــدولا

واذكـــــرْ نحيبـــــك زاده فـــــرطَ الجـــــوى! يبكـــــي مصـــــيراً غامضـــــاً مجهـــــولا

واذكـــــر نشـــــيجك يـــــوم ســـــربلك الـــــدجى وتعلقـــــاً باليُســـــر كـــــان ضـــــئيلا

واذكـــــر إبـــــاءك يـــــوم زلزلـــــه الطـــــوى والـــــدمعُ يحفـــــرُ - فـــــي الخـــــدود - مَســـــيلا

واذكـــــر عفافـــــك فـــــي المصـــــاب قـــــد اكتـــــوى بالنـــــار تحـــــرقُ زادَه المَكفـــــولا

واذكـــــر ســـــؤال الله يـــــوم قيامـــــةٍ عمـــــا اكتســـــبت بـــــذي الحيـــــاة الأولـــــى

يـــــا ابـــــن الصـــــعيد جُزيـــــت خيـــــراً وافـــــراً ووقيـــــت شُـــــحاً - فـــــي القلـــــوب - وبـــــيلا

والمـــــرءُ بالإســـــلام يَصـــــلحُ حالـــــه ... فالشـــــرعُ خيـــــرٌ مَـــــوْرداً وأصـــــولا

والشـــــرعُ فـــــي الظلمـــــات بـــــدرٌ ســـــاطعٌ ... وهُـــــدىً يُبيـــــدُ الغـــــيّ والتضـــــليلا

والشـــــرعُ يهـــــدي – للرشـــــاد - مُريـــــدَه ... فـــــيُحكّمُ الأخـــــلاقَ والتنـــــزيلا

والشـــــرعُ موئـــــلُ مَـــــن يـــــودّ نجاتـــــه ... فيُثـــــاب فـــــي - يـــــومِ الجـــــزاء - جـــــزيلا

والشـــــرعُ حُجـــــةٌ مَـــــن يعـــــيش لدينـــــه ... هـــــو - فـــــي الـــــدياجر - يحمـــــل القِنـــــديلا

والشـــــرعُ أعظـــــمُ مـــــا يُميّـــــز عـــــاقلاً ... كـــــم شـــــاد تشـــــريعُ المليـــــك عقـــــولا!

والشـــــرعُ يمـــــنحُ كـــــل نفـــــس رُشـــــدَها ... كـــــي تســـــتطيعَ - إلـــــى الجنـــــان - وصـــــولا

يـــــا ابـــــن الصـــــعيد درســـــت دينـــــك راغبـــــاً ... ثـــــم انطلقـــــت تـــــدَوّن التأصـــــيلا

فعلمـــــت مقصـــــود الشـــــريعة واعيـــــاً ... وفقهـــــت مِـــــن منصوصـــــها المَـــــدلولا

وســـــبرت أغـــــوار الأمـــــور وفقههـــــا ... والحـــــق والتحـــــريمَ والتحلـــــيلا

ووعيـــــت قـــــرآن المهـــــيمن مســـــلماً ... علِـــــمَ المُـــــراد ، وأتقـــــنَ التـــــأويلا

واللهُ خصّـــــك بالتفقـــــه فـــــي الهُـــــدى ... والعلـــــمُ أصـــــبحَ ســـــيفك المســـــلولا

تقـــــتصّ مِـــــن نفـــــس تجرّعّـــــك الشـــــقا ... وتبيـــــدُ مجتهـــــداً بصـــــائرَ حُـــــولى

وتضـــــيئ عزمـــــاً لـــــم يكـــــنْ متـــــرهّلاً ... وعلـــــى التطفـــــل لـــــم يكـــــن مَجبـــــولا

وتعـــــيشُ بـــــالتقوى رضـــــيّاً قانعـــــاً ... كـــــيلا تكـــــون معانـــــداً ضِـــــليلا

لـــــم تتخـــــذ ديـــــن الإلـــــه دراســـــة ... ترجـــــو بهـــــا - بـــــين الـــــورى - تنـــــويلا

فالأكـــــلُ بالإســـــلام أخبـــــثُ مـــــنهج ... تعـــــسَ التكسّـــــب ، كـــــم أضـــــل كهـــــولا!

شـــــابوا علـــــى بيـــــع الشـــــريعة للمَـــــلا ... واســـــتعذبوا التطويـــــع والتعطـــــيلا

ضـــــلوا ، فللـــــدنيا تفقـــــه حـــــزبُهم ... وأراهـــــمُ فعـــــلاً أضـــــلوا الجـــــيلا

لكـــــنّ صـــــاحبنا ترفـــــعَ ، واعتلـــــى ... مَـــــتن العفـــــافِ مُـــــبجّلاً بُهلـــــولا

واللهُ أكـــــرم فـــــي الخلائـــــق شـــــأنه ... لمّـــــا تفكـــــر فـــــي المصـــــير طـــــويلا

أكـــلُ الحـــرام يُميـــتُ قلبـــاً مُخبتـــاً ... ويَـــدُكّ عزمـــاً ـ فـــي الضـــمير ـ جلـــيلا

هـــي أكلـــةَ حُـــبُ الكبـــائر بعـــدها ... ويبيـــــتُ آكلهـــــا العصـــــيّ أكـــــولا

ولـــــذا تـــــورّع أزهـــــريّ صـــــعيدِنا ... فغـــداً سيُصـــبح ـ فـــي الكُـــدى ـ مـــأكولا

حتـــى أتـــت شـــيخاً لـــه خيـــرُ النســـا ... مَـــن آثـــرتْ ـ فـــي الاختيـــار ـ عُـــدولا

وتُريـــد زوجـــاً ـ للفتـــاة ـ موحّـــداً ... وعلـــــى تديّنـــــه يُقـــــيمُ دلـــــيلا

والشـــيخُ طمأنهـــا ، وبلغهـــا المُنـــى ... طربـــاً ، وهلـــلَ ضـــاحكاً تهلـــيلا

وأتـــى ـ لصـــاحبنا ـ ببُشـــراه التـــي ... قـــد ذللـــتْ ـ لفـــؤاده ـ تـــذليلا

وأتتـــه دنيـــا مـــا ســـعى لنوالهـــا ... بـــل سُـــهلتْ لجنابـــه تســـهيلا

وتملـــكَ المـــالَ الكثيـــر بصـــبره ... وتـــزوّج العـــزبُ العفيـــفُ بَتـــولا

وتحـــوّل الحُلـــم العجيـــبُ حقيقـــة ... حتـــى الخيـــالُ غـــدا لـــه معقـــولا!

والنـــاسُ بعـــدُ فمُكْبـــرٌ لعلومـــه ... ومُبجّـــلٌ أخلاقـــه تبجـــيلا

حـــاز الأصـــالة مِـــن جميـــع مِهادهـــا ... ديـــنٌ وأرضٌ أنبتـــاه أصـــيلا

أخلاقـــه الإســـلامُ هـــذب سَـــمتها ... وصـــعيدُنا زكّـــى ـ لديـــه ـ مُيـــولا

أصـــلٌ وأخـــلاقٌ ونُبـــلُ مَحاتـــدٍ ... والـــدينُ جمّـــلَ طبعـــه تجميـــلا

اللهُ أكبـــر ، لا أزكّـــي خلقـــه ... يـــا ليتنـــي أمسِـــي لـــذاك خلـــيلا

للهـــمّ بـــاركْ فـــي الـــذين تمسّـــكوا ... بعُـــرى الهُـــدى ، كـــنْ ناصـــراً ووكـــيلا

امرأتان من صعيد مصر!

(أما الأولى فهي (هاجر) أم إسماعيل زوج الخليل إبراهيم عليهم السلام. وكانت أميرة منف المخطوبة لابن عمها الأمير ، ثم غلب على قافلتها الهكسوس الرعاة ، فقتلوا خطيبها وسبَوْها. وأصبحت من الحريم السلطاني. إلى أن أخدمها فرعون سارة فزوجتها للخليل. والثانية مارية بنت شمعون القبطية ، أم المؤمنين زوج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وهي من قرية تسمى (الحفن) من كورة أنصيا بصعيد مصر. آمنت بالله ورسوله قبل زواجها من النبي. وكذلك أسلمت هاجر على يد سارة. وهاجر ليست أمَة فهي أميرة منف. ومارية أعتقها ولدها من النبي محمد – صلى الله عليه وسلم - (إبراهيم). وهذا الكلام ثابت في كتب المغازي والسير والتراجم والتاريخ ، وموثق في مظانه يعلمه القاصي والداني. وإذن فلأهل الصعيد الفخر عندما كانوا أصهار النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصهار أبيه إبراهيم – عليه السلام – وإنه لشرف كبير ومجد تليد. ولأني من أهل الصعيد لكون أبي واحداً من أهله ، رحتُ أفتخر بهذا المجد وأفاخر الدنيا به! فيكفي صعيد مصر أن يكون له ذلك الشرف العظيم! الصحفي المصري محمود خليل - سكرتير تحرير جريدة الأحرار المصرية يقول تحت عنوان: (العرب أول من سكن مصر والنبي محمد "صلى الله عليه وسلم" من أصول مصرية من ناحية جدته لأبيه ، حيث إن هاجر جدته لأنه من ولد اسماعيل ، وإسماعيل ولدها! ثم يناقش الأستاذ محمود خليل المسألة من الناحية التاريخية فيقول: (كان لسيدنا إبراهيم عليه السلام زوجتان: "سارای" وتتحدث العبرانية ، و"هاجر" وتتحدث العربية. وأمر الله إبراهيم أن يغير اسمه هو وسارة زوجته من الأسماء العبرية "إبرام وسارای -"إلى العربية "إبراهيم وسارة" وأسكن سيدنا إبراهيم سارة في القدس ومن نسلها كان العبرانيون وأسكن هاجر فى صحراء مكة ومن نسلها كان العرب. هاجَر سيدنا إبراهيم من أرض النهرين وأخذ معه زوجته سارة وابن أخيه سيدنا لوط عليه السلام ذهبوا إلى مملكة الأقباط – مصر- وهناك حاول الملك أن ينال من سارة وكلما اقترب دعت ربها فيصرع. وكلما أفاق يقترب وهي تدعو الله فيقع صريعاً إلى أن اقتنع أنها بحماية من الله عز وجل فأهدى إليها أميرة قبطية – مصرية - اسمها هاجر بناء على طلبها إكراماً لها وليس خادمة كما يدعى اليهود في كتبهم المكذوبة. ويجب أن نلاحظ أن مصر كانت تسمى مملكة الأقباط في عهد سيدنا إبراهيم أي أن الأقباط مصريون وليسوا نصارى كما يدعى النصارى المعاصرون في مصر لأغراض في نفوسهم. مضى إبراهيم إلى فلسطين وفي الطريق وعندما وصلوا إلى قرية "سدوم" على سواحل البحر الميّت أمر لوطاً أن يسكن في تلك القرية ويدعو أهلها إلى عبادة الله سبحانه أما إبراهيم فقد واصل طريقه مع زوجتيه سارة وهاجر إلى أرض فلسطين حيث رأى وادياً جميلاً تحيطه الروابي والتلال فألقى رَحْله هناك. ومنذ ذلك التاريخ سكن إبراهيم الأرض التي تدعى اليوم بمدينة الخليل في فلسطين المحتلة حيث ضرب إبراهيم خيامه في ذلك الوادي الفسيح وترك ماشيته ترعى بسلام وكان ذلك الوادي في طريق القوافل المسافرة ، لهذا كان يقصده الكثير من المسافرين فيجدون عنده الماء العذب ، والطعام الطيب وكرم الوفادة والاستقبال الحسن ، والكلمات الطيبة. حيث كان إبراهيم يتحدث مع ضيوفه ، داعياً إلى عبادة الله الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا معبود سواه وبمرور الأيام والأعوام عرف الناس سيدنا إبراهيم كرجل صالح كريم أمين وعرفوا أخلاقه وصلاحه وعبادته وتقواه وحبّه للضيوف وللخير والناس. رغم ذلك الحب والتقدير لإبراهيم من الناس. فإنه كان حزيناً لأنه كان يتمنّى أن يكون له طفل خاصة وقد تقدم به العمر ، وأصبح شيخاً كبيراً ، وأصبحت

زوجته عجوزاً ، ولم يرزقا طفلاً يأنسا به. ومن شدة حب سيدتنا سارة زوجة إبراهيم له قالت له: أنت تحبّ أن يكون لك أطفال وذريّة وأنا أحب أن يكون لنا طفل نرعاه. يا خليل الرحمن أعرف أنني قد أصبحت عجوزاً ولكنى سوف أهب لك هاجر فتزوّجها لعلّ الله أن يرزقنا منها أولاداً. ورفض إبراهيم حتى لا تحزن سارة ولكنها أصرت على عرضها وقالت له: سوف أفرح لفرحك. وهكذا وهبت سارة هاجر المصرية إلى زوجها إبراهيم فتزوّجها. ولم تمض تسعة أشهر حتى سُمع بكاء الطفل وفرح الجميع بميلاد إسماعيل. لقد وهب الله سبحانه وتعالى إبراهيم ولداً أسماه إسماعيل وكان طفلاً محبوباً ملأ قلب أبيه فرحاً ومسرَّة. لهذا كان يحتضنه ويقبّله ، وكان يقضي بعض أوقاته في خيمة أمّه هاجر ، مما أشعر سارة بالغيرة من هاجر ، وفي ذات الوقت كانت لا تريد للغيرة أن تأكل قلبها وترفض أن تكره أو تحقد على هاجر بسبب ذلك. ولهذا طلبت من إبراهيم أن يبعد هاجر لأنها كلما رأتها تغار منها وتحقد عليها ، وهي لا تريد أن تدخل النار بسبب تلك الغيرة. فلقد تحمّلت العذاب والهجرة بسبب عدم إيذاء هاجر وابنها إسماعيل وإيمانها بزوجها إبراهيم ، وظلّت مؤمنة بربها وبرسوله إبراهيم. وظلت صابرة طوال هذه السنين. ولهذا بشرت الملائكة سيدنا إبراهيم وسارة بولدين متعاقبين هما إسحاق ويعقوب. قضت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يأخذ إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل إلى أرض بعيدة في الجنوب ممتثلاً لأمر الله سبحانه وتعالى. فشدّ الرحال إلى مكان مجهول لم يذهب إليه من قبل ، وسار إبراهيم مع زوجته هاجر ، ومعهما إسماعيل الطفل الرضيع أيّاماً طويلة ، وفي كل مرّة وعندما يرى سيدنا إبراهيم مكاناً جميلاً أو وادياً مُعْشباً كان ينظر إلى السماء كان يتمنّى أن يكون قد وصل المكان الموعود ، ولكن الملاك يهبط من السماء ويخبره باستئناف المسير. وهكذا ظل إبراهيم يسير ويسير ومعه زوجته هاجر ، وهي تحمل طفلها الرضيع وبعد أيام طويلة وصلوا أرضاً جرداء عبارة عن وادٍ ليس فيه سوى الرمال وبعض شجيرات الصحراء الجافّة ، وفي ذلك المكان هبط الملاك وأخبر إبراهيم بأنه قد وصل الأرض المقدسة. ونزل إبراهيم في ذلك الوادي الذي كان وادياً خالياً من الحياة حيث لا نهر فيه ولا نبع ولا يعيش فيه إنسان إنها إرادة الله أن يعيش الصبي إسماعيل وأمّه في هذا المكان الموحش وقبّل إبراهيم طفله إسماعيل الذي بكى من أجله وهو يتركه وأمه هاجر في هذا المكان ، وبكى إبراهيم من أجلهما. التفتت هاجر حواليها فلم تر شيئاً سوى الرمال والصخور والجبال الصماء ، فقالت لزوجها: أتتركنا هنا في هذا الوادي الموحش؟ فيرد عليها: لقد أمرني الله بذلك يا هاجر. ولأن هاجر كانت امرأة مؤمنة وموحدة عرفت أن الله رءوف بعباده ويريد لهم الخير والبركات فقالت لإبراهيم: ما دام الله هو الذي أمرك فهو كفيلنا وهو يرعانا إنه لا ينسى عباده. ابتعد إبراهيم بعد أن ودّع ابنه وزوجته ثم وقف فوق التلال ونظر إلى السماء وابتهل إلى الله أن يحفظهما من الشرور. اختفى إبراهيم عن عيني هاجر وعيني إسماعيل ، وفرشت هاجر لابنها جلد كبش ، وقامت لتصنع لها ولطفلها خيمة صغيرة ، وكانت تعمل بكل طمأنينة فهي تؤمن أن هناك من يرعاها ويرعى وليدها ، وكانت في النهار تجمع بعض الحطب ، وفي المساء توقد النار وتصنع لها رغيفاً تتعشّى به ، وكانت تسهر معظم الليل وهي تنظر إلى السماء والنجوم. مضت عدّة أيام وهاجر على هذه الحال حتى نفد ما معها من الماء ، ولم يبق في القربة قطرة واحدة! والقصة معروفة في القرآن الكريم. حيث استنجدت بالله سبحانه وتعالى من تلك الصحراء القاحلة التي أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم بأن يتركهما فيها لحكمة إعمارها بقوله: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ

أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ). وأخذت تسعى بين جبلي الصفا والمروة حتى تفجرت عين زمزم تحت قدمي إسماعيل إيذانا ببدء أول تجمع بشري في تلك الصحراء القاحلة! حيث بدأت القبائل العربية تأتي إلي تلك البقعة طلباً للماء ، واستأذنوا من السيدة هاجر في الجوار والإقامة ، فأذنت لهم وتم تعمير الجزيرة العربية التي لم يسكنها بشر من قبل. بين تلك القبائل العربية نشأ إسماعيل عليه السلام ثم أتى إبراهيم إلى مكة حيث أقام الكعبة هو وسيدنا إسماعيل عليهما السلام ، وتم رفع قواعد البيت العتيق واختارت هاجر - أم العرب التي هي في الأصل مصرية - زوجة مصرية من قبيلتها لابنها إسماعيل "أبو العرب". إذنْ فهاجر كانت على صلة بأهلها القبط – المصريين - ولم تنقطع عنهم وكانت تزورهم وبعد أن تزوج ابنها إسماعيل تمكث أيضاً زوجته المصرية معهما في هذه البقعة من الصحراء ، إذن فالأسرة المصرية هاجرت إلى هذا الموقع لتسكن فيه لماذا؟ لا بد من وجود سبب مهم؟ هذا على فرض صحة هذه الرواية التاريخية ، وإلا فإن إسماعيل تزوج من جرهم! أما السبب فهو نسل إسماعيل وزوجته المصرية حيث سكنت قبيلة قريش بمكة المكرمة التي كانت جزءاً من مصر في ذلك الوقت لذلك فالعرب يعتبرون مصريي الجنسية وأمهاتهم مصريات (باعتبار هاجر أماً لجد العرب إسماعيل). فيكون المصريون أهل هاجر أخوال العرب شاؤوا اليوم أم أبوا! ويُختلف في اسم زوجة سيدنا إسماعيل قيل إن اسمها عمارة بنت سعد بن أسامة ، وقيل إن اسمها جداء بنت سعد ، وقيل حبى بنت أسعد بن عملق ، وقيل ريبة أو ميريبة. وأغلب الظن أنها مصرية مثل أمه السيدة هاجر. وإن كنت لا أعوّل كثيراً على المصادر التاريخية! وهؤلاء هم العرب أي الذين ينطقون العربية الفصحى التي نزل بلسانهم القرآن وغيرهم يسمون الأعراب واشتهروا بقرض الشعر والأدب والتجارة والأخلاقيات الحميدة مثل الكرم والنبل والشجاعة ومساعدة الغير والفروسية. في هذه المنطقة وبين هؤلاء العرب "المصريين" ولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ونشأ وترعرع وتعلم ونزل عليه الوحي. حتى اكتملت الرسالة الإلهية ، وبدأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بناء الدولة الإسلامية وتدعيم أركانها. وكان من بين مهامه نشر رسالته للعالم أجمع ، ومن بين من أرسل لهم يدعوهم إلى الإسلام دين رب العالمين وخاتم الرسالات ودين أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم وأبي البشر سيدنا آدم. وكان المقوقس ملك القبط ممن كاتبهم وأرسل إليه حاطب بن أبي بلتعة يدعوه إلى الإسلام. ومما جاء في الرسالة: "أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين". وأحسن المقوقس لقاء رسول رسول الله وأخبره بأن القبط لا يطاوعوه على ترك دينه. ومع ذلك فقد أكرم وفادة حاطب رسول رسول الله وكتب له: قد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بأميرتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوةٍ ومَطيةٍ لتركبها والسلام عليك. وتقبل رسول الله الهدية وأعجبته ماريا فاحتفظ بها ، ووهب أختها سيرين إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه وأنزل رسول الله ماريا بمنزل لحارثة بن النعمان قرب المسجد. البعض يدعي أن مارية كانت جارية في قصر المقوقس! والحقيقة أنها فرية وكذبة من الإسرائيليات الموضوعة في الأحاديث النبوية وكتب السيرة ولو كانت كذلك لما قال المقوقس عنها وعن أختها أن لهما مكاناً عظيماً بين القبط. كانت مارية القبطية - أي المصرية أي من مصر أي من - جبت - على عقيدة إخناتون دين قدماء المصريين ولم تكن نصرانية العقيدة كما يردد البعض! وكانت تتحدث اللسان المصري الفرعوني العربي ولم تكن تتحدث اللغة القبطية – لغة المستعمر الروماني - وكانت لغتها مفهومة نسبياً للعرب ولهذا لم تكن بحاجة إلى مترجم بينها وبين النبي محمد صلى الله عليه

وسلم. وهذا الكلام فيه نظر ، ونظر كبير! على أية حال تكتمل الحلقات بزواج النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مصرية بعد زواج إبراهيم وسيدنا إسماعيل من مصريتين لتصبح مصر بحق أم الدنيا وأم العرب اسماً على مسمى كانت مارية ، تفكر باستمرار في سيدة مصرية مثلها جاءت إلى هذه الديار قبلها وتزوجت من النبي إبراهيم عليه السلام ، وأنجبت له إسماعيل نبياً ابن نبي. وعندما شعرت ببوادر الحمل. كانت تتمنى أن يختم الله حياتها فتصبح أما لولد محمد صلى الله عليه وسلم كما كانت هاجر أماً لولد إبراهيم. خاف الرسول على مارية فنقلها إلى العالية بضواحي المدينة ، توفيراً لراحتها وسلامتها ، وعناية بصحتها وصحة جنينها وسهر عليها يرعاها ، وعندما بلغ الجنين أجله وحانت ساعة الولادة ذات ليلة من شهر ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة ، دعا رسول الله قابلتها "سلمى زوج أبي رافع" ، ثم انتحى ناحية من الدار يصلي ويدعو. وجاءت أم رافع بالبشرى. وخفّ رسول الله إلى مارية فهنأها. ثم حمل وليده بين يديه فرحاً وسماه إبراهيم تيمناً باسم جده وجد الأنبياء. وخيل لمارية أنها نالت مناها. فها هي تلد للنبي ولداً. كما ولدت هاجر المصرية من قبل لإبراهيم ابنه إسماعيل. ولكن لم تكتمل سعادة الأبوين. فقد مرض إبراهيم وتوفي ولما يبلغ العامين من عمره بعد. وحرمت مارية من ولدها الذي قرت به عينها حيناً ، ثم لم تلبث إلا القليل حتى حرمت من الرسول الذي أوصي المسلمين فقال: استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً. وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى ، وترك مارية تعيش من بعده خمس سنوات. لا تكاد تخرج من دارها. فلما ماتت سنة ستة عشرة من الهجرة صلي عليها سيدنا عمر رضي الله عنه ودفنها بالبقيع. ومن الواضح أن اليهود الذين اتبعوا تعاليم سيدنا عيسى عليه السلام ثم فروا من فلسطين إلى مصر هرباً من اضطهاد الرومان وأتباع موسى عليه السلام كانوا قلة ولم يدعو أحداً من القبط "المصريين" إلى دينهم بل سكنوا مناطق معزولة كعادة اليهود الذين يفضلون العيش في مناطق معزولةٍ أو "جيتو". ولأن عيسى عليه السلام لم يأمرهم بنشر تعاليمه للأميين أي باقي البشر من غير اليهود ، بينما كان الرومان وثنيين يضطهدون القبط "المصريين" وكانوا مكروهين منهم. فلا يمكن أن يترك المصريين العقيدة التى كانت عليها هاجر ومارية وأهاليها من أجل عقيدة أخرى لا تلبى حاجتهم الدينية ولا تتفق مع معتقدهم ولذلك عندما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته أرسلها للمقوقس عظيم المصريين - وهو مصري أي "قبطي" أو "جبتي" فعظيم القبط يعنى عظيم المصريين أو حاكم المصريين - ولم يكن نصراني العقيدة لتسميته عظيم الجبت كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرسل برسالةٍ مماثلةٍ للحاكم الروماني الوثني مثلما بعث إلى المقوقس. كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال قبل وفاته عن مصر وأهلها فى حديث صحيح: "ستفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا". قال ابن كثير: والمراد بالرحم أنهم أخوال إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وأمه هاجر القبطية "المصرية" ، وهو الذبيح وهو والد عرب الحجاز الذين منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأخوال إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه مارية القبطية "المصرية" وقد وضع عنهم معاوية الجزية إكرامًا لإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإذا كان رسولنا الكريم قد أوصى بأهل مصر خيراً فلأنهم أهل جدته هاجر المصرية وزوجة جده إسماعيل عليه السلام المصرية وزوجته مارية المصرية وأخوال ابنه إبراهيم عليه السلام فهو صلى الله عليه وسلم ابن الذبيحين إسماعيل وعبد الله. والجيش الإسلامي الذي فتح مصر كانوا من أولاد هاجر المصرية الذين عادوا إلى وطن جدتهم

ليحرروا عائلتها القبط "المصريين" من ظلم الرومان الأجانب. وقد تمكنوا من تحريرهم بالفعل بقيادة عمرو ابن العاص الذي حرر بلاد بني جدتهم من اضطهاد الاحتلال الروماني الوثني! وكان هذا بعلم الرسول صلى الله عليه وسلم. عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط. وفي رواية: ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً. وفي رواية: فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قال العلماء: الرحم تعنى التي لهم وهي هاجر أم إسماعيل وزوجته وزوجة سيدنا محمد وابنه سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ولم يكن المقصود بالحديث هم القبط بمعنى النصارى فالنبي صلى الله عليه وسلم كان دقيقاً في حديثه وكلماته وأفعاله لأنه لم يكن ينطق عن الهوى بل يتحدث بوحي من المولى عز وجل. كان المصريون القدماء يتحدثون بلغة مفهومة ومعروفة لعرب شبه الجزيرة العربية - الذين أخذوا لغة هاجر عليها السلام - وهى نفس اللغة المصرية - أي العربية - التي كان يتحدث بها سيدنا موسى عليه السلام - الذي تربى في بيت فرعون وفي وسط الشعب المصري - وهى ذات اللغة التي نزلت بها التوراة وهي نفس اللغة التي كان يتحدث بها أهل مدين التي هاجر إليها سيدنا موسى بعدما قتل مصرياً خطأ ، وهي نفس اللغة التي كانت قبائل الجزيرة العربية تتحدث بها. إذنْ فمصر وأهلها الجبت أو القبط والعراق والشام والحجاز كانت تتحدث بنفس اللسان العربي والذي كان يشمل عدة لغات مثل اللغة الآشورية التي خرجت منها الآرامية واللغة الأكادية التي خرجت منها العبرية الحالية والحميرية والسبئية والنبطية والعربية والحبشية. فجميع تلك اللغات كانت بنفس اللسان ونفس جذور الكلمات ثم انقسم اللسان إلى عدة لهجات أو لغات تختلف اختلافاً طفيفاً في طريقة تصريف الأفعال وأدوات النداء والتعريف لا أكثر ولكنها تظل لغات مفهومة لكل المتحدثين بها. وهذا الكلام عليه مؤاخذات كثيرة لأنه بحاجة شديدة لأدلة تثبته! يكفي أن نعرف أنه توجد كلمات كثيرة في اللغة المصرية القديمة وهى نفس الكلمات التي نتحدث بها الآن أما اللغة التي أطلقوا عليها اللغة القبطية فهي لغة لم يتكلمها المصريون أبداً وهي اللغة التي ظهرت بعد الاحتلال الروماني لمصر عام 30 ق.م حيث ابتدع الرومان لغة جديدة للتفاهم مع الشعب المصري - الذي كان يتحدث بلغته العربية التي كانت تكتب بحروف ديومطيقية - واقتصر استخدامها على اليهود الذين آمنوا بتعاليم عيسى عليه السلام وسموا "أتباع المسيح" دون غيرهم من المصريين - أتباع أخناتون - سكان مصر الأصليين فاللغة القبطية عبارة عن لغة رومانية أدخلت عليها بعض الحروف المصرية. كانت اللغة المصرية تحتوى على حروف غير موجودة باللغة الرومانية مثل القاف والضاد والغين والعين فقد أدخلت سبعة حروف أخرى على اللغة الرومانية كي تمتلك القدرة على كتابة الكلمات المصرية وهذه اللغة كانت مجرد لغة كتبت بها بعض الأناجيل ولكنها لم تكن اللغة التي يتحدث بها الشعب المصري الأصيل فهذا التلاعب بالألفاظ يغير المفهوم وينبغي تصحيحه لأن المصريين كان لهم فكرهم ولغتهم وعقيدتهم. وإذا عدنا إلى التاريخ القريب وتحديداً في سنوات الاحتلال البريطاني لمصر للاحظنا انتشار لغة سميت بالفرانكو آراب وهي لغة تختلط فيها اللغة العربية باللغة الإنجليزية ، وهكذا كانت اللغة القبطية التي يطالب النصارى حالياً بعودتها وبعثها للحياة من جديد. ولا ندرى كيف يتخلى النصارى المصريون بإحياء لغة المستعمر عن اللغة الأصلية للمصريين وهي اللغة العربية ، هل يعد ذلك حنيناً للغة المستعمر؟ أم كرهاً للغة القرآن؟ أم هي العنصرية والكراهية التي يُكنها النصارى لإخوانهم وشركائهم في الوطن المسلمين؟!).هـ.

ويبقى سؤال مطروق قديماً وحديثاً: هاجر هل كانت من بلاد النوبة جنوب الصعيد؟ هنالك معلومة متداولة منذ زمن بعيد في أوساط النوبيين في شمال السودان وجنوب مصر مفادها أن السيدة هاجر هي في الأصل امرأة نوبية ، ويدعم هذا الادعاء عدة اعتقادات ما هي؟ ها ـ جر: (ها) بالهيروغليفي معناها زهرة اللوتس ، وكلمة (جر) معناها أرض جب بالمعنى التوراتي (مصر) أي اسمها زهرة اللوتس وكنايتها المصرية. والبداية يسردها علينا ابن كثير حيث ذكرها بأنها كانت أميرة من العماليق وقيل من الكنعانيين الذين حكموا مصر قبل الفراعنة ، وأنها بنت زعيمهم الذي قتله الفراعنة ، ومن ثم تبناها فرعون. وعندما أراد فرعون سوءاً بسارة دعت الله فشلت يداه ، فقال فرعون ادعي ربك أن يشفي يداي وعاهدها أن لا يمسها ، ففعلت فشفى الله يديه ، فعاد فدعت عدة مرات! فأهدى إليها الأميرة القبطية المصرية التي اسمها هاجر إكراماً لها وليست خادمة كما يدعى اليهود في كتبهم. ولدت هاجر إسماعيل عليه السلام عندما كان إبراهيم عليه السلام في السادسة والثمانين من العمر ، وسارة قد بلغت سن اليأس من الإنجاب ، فتعاظمت غيرة سارة ، وبات إبراهيم عليه السلام في حيرة من أمره ، كيف يستطيع التوفيق بينهما وهو في هذا العمر شيخ كبير. وبدأ إبراهيم عليه السلام يناجي ربه ، ويطلب أن يعينه ويساعده ، فبشره الله سبحانه بولدٍ آخر تنجبه سارة: (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيب * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ). وبعد خمس سنوات من ولادة إسماعيل عليه السلام ، أنجبت سارة إسحاق عليه السلام ، وهكذا صار لإبراهيم ولدان: إسماعيل من هاجر ، وإسحاق من سارة. ولحكمة أرادها الله ، وتحاشِياً لما قد يقع بين الزوجتين وولديهما من الخلاف والمشاحنات ، أمر الله سبحانه خليله إبراهيم أن يخرج بإسماعيل وأمه هاجر ، ويبتعد بهما عن سارة ، التي اغتمت كثيراً وثقل عليها أمر هاجر وولدها إسماعيل ، بعد أن صار لها ولداً. أذعن إبراهيم لأمر ربه فخرج بهاجر وابنها إسماعيل وهو لا يدري إلى أين يأخذهما. فكان كل ما مرّ بمكانٍ أعجبه فيه شجر ونخل وزرع قال: إلى ههنا يا ربّ؟ فيجيبه جبرائيل عليه السلام: امضِ يا إبراهيم. وظلّ هو وهاجر سائرين ، ومعهما ولدهما إسماعيل حتى وصلوا إلى مكة ، حيث لا زرع هناك ولا ماء الا حرِّ الشمس. أراد إبراهيم عليه السلام أن يترك هاجر وولدها إسماعيل ، في ذلك المكان القاحل المقفر ، حيث لا دار ولا طعام فيه ولا شراب ، إلاّ كيس من التمر وقربة صغيرة فيها قليل من الماء كانوا قد حملوهما معهم عند بدء رحلتهم. فخافت هاجر على نفسها الجوع والعطش ، وعلى ولدها الهلاك! فتعلقت بإبراهيم عليه السلام تريد أن لا تتركه يذهب ، وراحت تسأله: إلى أين تذهب يا إبراهيم وتتركني وطفلي في هذا المكان الذي ليس فيه أنيس ، ولا زرع ولا ماء ، ألا تخاف أن نهلك أنا وهذا الطفل جوعاً وعطشاً؟ رق قلب إبراهيم وتحير في أمره ، ولكنه تذكر أمر الله له ، فماذا يفعل وهو إنما ينفذ ما أمره به ربه ، وألحت هاجر في السؤال ، وظل إبراهيم عليه السلام منصرفاً عنها يناجي ربه. ويأتي الجواب جازماً حاسماً لا تردد فيه ولا تراجع: إن الله هو الذي أمرني بترككما في هذا المكان ، وهو لا شك لن يضيعكم. فلاذت أم إسماعيل بالصمت ، ورضخت هي الأخرى لما أراده الله ثم قالت: إذن لا يضيعنا. نفذ التمر والماء من بين يدي هاجر. واشتدت حرارة القيظ فعطشت هي وابنها. وراح يتلوى من الجوع والعطش فلم تعد هاجر تطيق رؤية طفلها على هذه الحال ، فراحت تنظر إليه ولا تدري ماذا تفعل. أتترك ولدها يموت جوعاً وعطشاً ، لن تقف مكتوفة الأيدي أمام هذا المصير. فلا بد أنها ستجد الماء. فالله

لن يضيعها هي وطفلها. وقامت هاجر في الوادي في "موضع السعي أيام الحج". انطلقت هاجر تبحث عن الماء في كل اتجاه. وكان الصفا أقرب جبل إليها ، فصعدت عليه وراحت تنظر يمنة ويسرة وفي كل ناحية فلاح لها على المروة سراب ظنته ماءً ، نزلت عن الصفا وراحت تسعى مهرولة في الوادي باتجاه المروة وفي ظنها أنها ستجد الماء. ولكن كانت خيبتها حينما لم تجده شيئاً ، فوقفت منهكة تنظر وتتفحص فلاح لها سراب في الجهة الأخرى على الصفا وكأنه الماء فعادت مهرولة إلى الصفا ولكنها لم تجد هنالك شيئاً. وهكذا في كل مرة حتى فعلت ذلك سبع مرات وطفلها لم يفارق مخيلتها ولم تكن تطيق أن يغيب عن ناظريها. فلما كانت في المرة السابعة وقد اشتد بها العطش ، وأخذ منها التعب وأنهكها المسير دون أن تعثر على الماء. نظرت إلى طفلها فإذا الماء ينبع من تحت قدميه فأتته مسرعة وراحت تجمع حوله الرمل وهي تقول: زم زم. ثم أخذت تشرب من الماء حتى ارتوت وانحنت على إسماعيل لتسقيه. ورفع إبراهيم عليه السلام يديه بالدعاء متضرعاً إلى الله وهو يهم بالعودة (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ). ثم هم عائداً إلى بلاد الشام حيث سارة ، وقلبه يهوي إلى مكة وإلى ولده إسماعيل ، ولا حيلة له إلاّ الدعاء والتضرع. أما كونها نوبية الأصل أم لا ، هنالك معلومة متداولة منذ زمن بعيد في أوساط النوبيين في شمال السودان وجنوب مصر مفادها أن السيدة هاجر هي في الأصل نوبية ويدعم هذا الادعاء عدة اعتقادات ماهي؟ * أولاً: اسم هاجر يقابله نفس النطق في النوبية كلمة هاقجر التي تعنى الجالس أو المتروك في إشارة ربما لعملية تركها وحيدة في مكة والمعنى المباشر للكلمة هو سوف اجلس. * ثانياً: من الثابت أيضاً في القصة أن السيدة هاجر كانت تلبس ثوباً طويلاً فضفاضاً ليخفى آثار أقدامها عن السيدة سارة وهذا الوصف ينطبق على الجرجار اللباس النسائي النوبي المعروف والمستخدم حتى اليوم. * ثالثاً: كلمة زم زم ، يعتقد بأنها أيضاً كلمة نوبية نطقت بها السيدة هاجر عندما انفجر الماء ، ويقابلها في اللغة النوبية سم ، والتي تعنى بالعربية فعل الأمر من جف ، فقد كررتها مراراً وهي تدعو الماء للتوقف سم سم وتحور النطق لتصبح زمزم. * رابعاً: كان ابنها إسماعيل رامياً بارعاً للسهام وهذا أحد أهم مميزات النوبيين القدماء الذين عرفوا تاريخياً باسم رماة الحدق في حروبهم مع الأشوريين والفرس والرومان وحتى مع العرب لاحقاً في 41 هجرية. وعموماً معلوماتنا تلك سواء ما أورده الأستاذ محمود خليل أو ما لخصناه بتصرف كبير من الموسوعة الحرة ، أقول: هناك ما يؤيد الكثير منه عند ابن إسحق وابن كثير في سيرته وبدايته ونهايته وعند السهيلي في روضه الآنف وعند المسعودي في مروجه وعند الواقدي في سيرته وابن هشام في سيرته! والله تعالى أعلى وأجل وأعلم بالحقيقة! تقول الكاتبة سلمى أمين في ترجمتها الخاطفة عن أم المؤمنين مارية القبطية ما نصه: (هي السيدة مارية بنت شمعون القبطية ، ولدت في قرية "حفن" ، وكلمة قبط يقصد بها أهل مصر ، أهداها الملك المقوقس حاكم مصر للنبي عليه السلام سنة 7 هجرية ، وكانت ابنة أحد أشراف القبط. تزوجها النبي عليه الصلاة والسلام وأنجب منها "إبراهيم" الذي توفي في صغره. وأما عن قصة إرسال المقوقس بمارية القبطية للنبي عليه السلام: فلقد اهتم النبي عليه السلام بعد صلح الحديبية بنشر الدعوة في بلاد العالم ، وبدأ يكتب للحكام والملوك بالاستعانة من ذوي الرأي والحكمة الخطابات يدعوهم فيها إلى الدخول إلى الإسلام. ومنهم كسرى ملك فارس ، وهرقل ملك الروم ، والمقوقس ملك مصر ، والنجاشي ملك الحبشة. كانت ردودهم أجمعين على

خطابات النبي بالحسنى ، وردوها رداً جميلاً ، إلا كسرى الذي مزق كتاب النبي عليه السلام. وقد أرسل عليه الصلاة والسلام كتابه إلى المقوقس مع "حاطب بن أبي بلتعة" البليغ الفصيح ، فدخل عليه وأخذ يقرأ عليه كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام. استمع المقوقس لكلام حاطب وأثار إعجابه وقال: "إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بزهودٍ فيه ، ولا ينهي عن مرغوب فيه ، ولم أجدهُ بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والأخبار بالنجوى وسأنظر". أخذ الكتاب وختم عليه بختمه ، وكتب للنبي عليه السلام يرد عليه: "بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً بقي ، وكنت أظن أنه سيخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديتُ إليك بغلة لتركبها والسلام عليك" والجاريتان هما: مارية بنت شمعون وأختها سيرين بنت شمعون ، وعشرين ثوباً ، وبغلته الخاصة ، وشيخ كبير وقور وألف مثقال من الذهب. فاختار النبي عليه الصلاة والسلام مارية القبطية وأهدى شاعره المادح حسان بن ثابت الأنصاري أختها سيرين بنت شمعون. كان النبي يحفظ للسيدة مارية رضي الله عنها نسبها ومكانة قومها. فقال عليه الصلاة والسلام لجيوش الفاتحين: إنكم ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحماً وقيل: نسبًا وصهرًا. والنسب هنا هو من جهة هاجر زوج سيدنا ابراهيم عليه السلام ، والصهر هو من جهة زوجته مارية القبطية. نزلت في السيدة مارية كثير من آيات سورة التحريم ، وقد ورد ذكرها في أحاديث وتفاسير العلماء والفقهاء في تصنيفاتهم ، وقد ارتقى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو راض عنها. فقد كانت أم ولده إبراهيم! كما أنها كانت تتفانى في إرضائه رضي الله عنها. وحدثت السيدة عائشة رضي الله عنها أنها كانت شديدة الغيرة من مارية القبطية ، حيث كانت ذات حسن وجمال وبهاء طلة. فكانت كثيراً ما تراقب كيف يهتم النبي عليه الصلاة والسلام بها فتقول: "ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية ، وذلك أنها كانت جميلة جعدة ـ أو دعجة ـ فأعجب بها رسول الله وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيتٍ لحارثة بن النعمان ، فكانت جارتنا ، فكان عامة الليل والنهار عندها ، حتى فرغنا لها ، فجزعت فحوّلها إلى العالية ، وكان يختلف إليها هناك ، فكان ذلك أشد علينا". وأنجبت السيدة مارية للنبي عليه السلام ابنه إبراهيم ، وفرح النبي بذلك أشد الفرح فقد كان قد فقد أولاده عدا فاطمة الزهراء وقد شارف الستين. وقد سماه النبي "إبراهيم" تيمناً بسيدنا إبراهيم. غير أنه توفي قبل إتمامه العام الثاني. وقد حمله النبي وهو ينازع الموت ، ومات بين يديه ، وبكى عليه بكاء الصابرين المحتسبين وقال حين سأله عبد الرحمن بن عوف بكائه: أتبكي يا رسول الله؟ أن: نعم فإنها رحمة ، وقال: "إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإن لفراقك يا إبراهيم لمحزونون". وتوفيت في شهر محرم في سنة 16 هجرية ، وصلى عليها سيدنا عمر بن الخطاب وعدد من الصحابي والمهاجرين وساروا بها في جنازة كبيرة ودفنت بجانب نساء أهل البيت وبجانب ابنها إبراهيم).هـ. ويفرد كتاب «مارية القبطية في البحث عن أم المؤمنين» لمؤلفه محمد علي السيد ، مدير تحرير مجلة «آخر ساعة» المصرية ، ضمن قصص عديدة قصة السيدة ماريا القبطية ، وعنده أنه على أعتاب قرية الشيخ عبادة في صعيد مصر ومحافظة المنيا جنوب القاهرة ، وجدت المنطقة التي تلخص تاريخ مصر ، فلو نظرت إليها من سفح الجبل الشرقي ستجدها تبدأ بالفرعوني فالروماني والإغريقي والنصراني ، ثم

الإسلامي! وإذا نظرت إليها من غرب النيل لوجدتها حاضراً إسلامياً ، نصرانيا في عمقه وإغريقياً ورومانياً ، ثم في الأصل فرعونياً ، فهذا هو موطن زهرتَي مصر: السيدة مارية القبطية وأختها سيرين. يأخذنا هذا الكتاب في رحلة للبحث عن أم المؤمنين زوج رسول الله مارية القبطية ، متتبعاً نشأتها وكل أماكن تواجدها ، كما يفتح آفاقاً لم يطأها أحد من قبل في البحث عن صحابة رسول الله. في قرية الشيخ عبادة بدأت رحلة ربط الأرض بواقع التاريخ والجغرافيا ، وفي البحث عن صحابة رسول الله ، الرحلة لم تنته بعد. فمن هي ماريا القبطية أم إبراهيم؟ إنها امرأة بيضاء البشرة مجعدة الشعر أثارت بجمالها الرباني وملابسها المصرية «القباطي» ونور وجهها نساء المدينة المنورة من الأنصار والمهاجرين. كما أثارت غيرة بعض زوجات النبي اللواتي تخفّين في دار «حارثة بن النعمان الأنصاري» ، حيث أنزلها الرسول قرب مسجده ومنازل زوجاته الملاصقة له ، قبل أن يُسكنها بعد عام ونصف العام في منطقة «العالية» على بعد ٣ كم في مزرعة على مجرى سيل البطحان كانت غنيمة له في غزوة بني قينقاع «تشابه موطنها من النيل والخضرة» ، وهناك حملت بابنها إبراهيم ووضعته. ففرض عليها الرسول ارتداء الحجاب لأن ابنها أعتقها وأصبحت من أمهات المؤمنين. ماريا بنت شمعون ، والدها مصري قبطي ، وأمها رومية. أصلها من مدينة أنطونبولس - أنصنا - قرية حفن - الشيخ عبادة في شرق النيل ، مركز ملوى بالمنيا حالياً ، واسمها الحالي يعود إلى الصحابي عبادة بن الصامت الذي بحث عن قريتها بعد الفتح الإسلامي لمصر (٢١ هـ) ، بعد ١٤ سنة من زواجها من الرسول ، وبعد خمس سنوات من وفاتها ، وأقام لها مسجداً ، ثم جاء بعده ابنه أو حفيده وأقام له مسجداً في القرية أو جدد المسجد الأصلي وسمي «مسجد عبادة بن الصامت». ثم مسجد الشيخ عبادة ، وسميت به القرية. كان سنها ما بين ١٢و ١٥سنة ، وكان المصريون - ولا يزالون - بخاصة في القرى يزوجون فتياتهن صغاراً ، وقد شاءت أقدارها أن تحولها من واحدة من ملايين المصريات إلى علامة في تاريخ الإسلام «وبنص رسالة المقوقس عنها وأختها سيرين» - جاريتين لهما مكانة في القبط - ومصاهرة الرسول المصريين «القبط» فأصبحوا «أخوال» ابنه (إبراهيم). وهم أيضاً أخوال نبينا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، من هاجر المصرية التي عمرت مكة وكشفت بئر زمزم. يكتمل الشرف في إبراهيم ، لأنه المولود الوحيد للرسول من زوجاته العشر بعد السيدة خديجة ، التي أنجب منها البنين والبنات ، ما زاد من غيرة نسائه ، وخصوصاً السيدة عائشة ، التي تمنت أن يكون لها ولد منه. يقول المؤلف: لم أقاوم المشهد العاطفي للرسول حاملاً ابنه بكامل فرحته به ليريه أحب نسائه ، فانفعلت وبكت ، فأخذ النبي رضيعه مسرعاً وهو يدعو لها بالهداية. ضم بيت النبي سودة بنت زمعة ، وعائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزينب بنت خزيمة ، وأم سلمة ، وزينب بنت جحش ، وجويرية بنت الحارث التي (توفيت عام 4هـ) ، وصفية بنت حيي وأم حبيبة ، وميمونة بنت الحارث التي (تزوجها عام٧هـ). وفي الطريق من الإسكندرية إلى المدينة المنورة (٤٥ يوماً) ، وفق سطور الكتاب ، كانت الحوارات بين ماريا وشقيقتها سيرين والعبد «مايور» وبين حاطب بن أبي بلتعة سفير رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط والي مصر الروماني ، وكانت أحاديثهم بالقطع عن الرسول والإسلام ، والعرب وحياة المدينة. وجهاد المسلمين لنشر دعوتهم. فأصبحوا على دراية بما هم مقبلون عليه. وفور وصولهم عرض النبي دين الإسلام عليهم ، فآمنت ماريا على الفور وانتظرت أختها ومايور ساعة ، فاتخذ النبي من ماريا سرية «يتسرى ويسعد بها». وأهدى أختها سيرين لشاعره حسان بن ثابت ، وجعل

العبد في خدمة ماريا. أحب الرسول ماريا ، فأخذ يمضي عندها عصر يومه ما أثار غضب زوجاته فنقلها إلى العالية ، وفى شهر ذي الحجة 9هـ جاءته بشارة المولود من قابلتها (الداية) أم رافع سلمى ، زوجة أبي رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وقد أهداهما له عمه العباس ، فأهداها هدايا كثيرة ، وتصدق بوزن شعر إبراهيم من الفضة على فقراء المدينة. وأعتق إبراهيمُ أمَّه من الرق. وقدم الأنصار مرضعة لإبراهيم وسبعة من الماعز إذا احتاج للبن ، لتتفرغ ماريا للنبي. ويشاء الله أن ينتقل إبراهيم إلى جواره في سن ١٨ شهراً ، ودفن في البقيع ، وبكى النبي عليه كثيراً. لكنه رفض كل ما قاله أهل المدينة عن مصادفة موته كسوفَ الشمس في هذا اليوم ، ثم صلى بالمسلمين صلاة الكسوف ، وطيب خاطر ماريا قائلاً إن إبراهيم ابني ، وإنه مات في الثدي ، وإن له لظئرين تكملان رضاعته في الجنة. لاحظت السيدتان عائشة وحفصة حبَّ النبي عسل بنها الذي جاء مع ماريا ، فادّعتا أن به رائحة وكان النبي حريصاً على طيب رائحته ، فامتنع عنه. ثم كانت ماريا سبباً في اعتزال النبي نسائه مدة شهر عربي (٢٩ يوماً) ، حتى شك المسلمون أنه طلقهن ، وأقام في عش بسيط أعلى شجرة. وكانت السيدة حفصة تزور والدها عمر بن الخطاب في يومها مع الرسول ، الذي كان يقضي قيلولة في منزلها ، فجاءت إليه ماريا لبعض أمورها ، فدعاها النبي إلى منزل حفصة وقضى معها الظهيرة فغضبت حفصة وقالت: ما كنت لتصنعها لولا هواني عليك ، فطيَّب خاطرها وأسرَّ لها بأن ماريا حرام عليه من الآن ، ومن فرحتها فشت سرها للسيدة عائشة ، التي قالت لا تبقى ماريا في المدينة بعد اليوم ، فأبلغ سيدُنا جبريل النبيَّ بما حدث ، فغضب غضباً شديداً لإفشاء سره. واعتزل زوجاته ، فأُنزلت عليه الآية الكريمة: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّـهُ لَكَ * تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ * وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّـهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ * وَاللَّـهُ مَوْلَاكُمْ * وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّـهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ * فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَـٰذَا * قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ » ، فعاد النبي إلى زوجاته. فأصبحت لماريا مَكرُمة للنساء كفارة تحرير رقبة عند يمين التحريم بدلاً من تحريم الزوجة تماماً ، ولها مكرمة أخرى للجواري ، بتشريع عتق الجارية «أم الولد» التي تلد ولو «سقطاً» ميتاً لسيدها والتي أصبحت أهم وسائل تحرير الجواري وتحولهن زوجات بعدما أنجبت إبراهيم ، وقال النبي عنها: «حررها ابنها». آثار بقاء مارية في منطقة العالية وحدها مع العبد «مايور» هواجس منافقي المدينة ما أغضب النبي فأرسل علي بن أبي طالب يستطلع الأمر ، فوجد العبد «خصياً». وبعد وفاة النبي عام 11هـ اعتكفت السيدة ماريا في بيتها حتى انتقلت إلى جوار الله بعد خمس سنوات ، لتدفن في البقيع عام ١٦ هـ ، بعدما أمضت ٩ سنوات في المدينة ، منها أربع مع رسول الله وهي في حدود سن العشرين ، وكانت أولى زوجات النبي لحاقاً به. وآخر من مات من زوجات النبي أم سلمة (٦١هـ). عاشت بعده ٥١ سنة. في عام 41 هـ ، بعد 20 عاماً من فتح مصر ، تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان مقابل شروط ، فأرسل له معاوية رسالة مختومة يضع فيها ما يشاء ، وكان منها إعفاء أهالي قرية حفن وأنصنا بناحية البهنسا (المنيا) من الجزية المقررة على القبط «غير المسلمين» دينارين عن الرجال ، تقديراً لزوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووافق معاوية).هـ. ولازالت الكتب والمراجع ودوائر المعارف تسطر لنا مناقب الزوجتين العظيمتين ، تلك المناقب التي قد تفردتا بها وصارت حكراً عليهما! وإنني كصعيدي أستشعر

ذلك المجد يجري في دمي ، أنني من أصهار نبي الله إبراهيم عليه السلام ، ومن أصهار نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ـ. فأنشدت في الزوجتين الكريمتين العظيمتين الجليلتين:-)

نقـــاءٌ فـــي الخليقـــة والرشـــادِ ... وطهـــرٌ فـــي الســـريرة والنِجـــادِ

وعِـــزٌ فـــي المكانـــة والبرايـــا ... ومجـــدٌ عـــمّ أرجـــاء الـــبلاد

(فهـــاجرُ) بالخليـــل غـــدتْ مَنـــاراً ... وقـــدوة مَـــن أنـــاب مِـــن العِبـــاد

وذي (ماريـــة) عـــزتْ ، وجلـــتْ ... بأحمـــدَ خيـــر مبعـــوثٍ وهـــاد

ومَـــن تـــكُ زوجـــة لنبـــي خيـــر ... وصـــدّقتِ النبـــوة باجتهـــاد

فقـــد وطئـــتْ ســـنامَ المجـــد فخـــراً ... لأن الـــزوج – للتقـــوى - ينـــادي

وهـــل ـ بعـــد النبـــوة ـ مِـــن ســـموٍ؟ ... وهـــل ـ بعـــد الرســـالة ـ مِـــن رشـــاد؟

لقـــد شـــرُف الصـــعيد بغادتيْـــهِ! ... وبالتشـــريف قـــد شـــهد الأعـــادي

فهـــاجر آمنـــتْ بـــالله طوعـــاً ... وخاضـــت بعـــضَ ألـــوان الجهـــاد

وســـارة للحنيفـــة قـــد دعتهـــا ... وتقـــوى الله باتـــت خيـــر زاد

وأصـــبحت (الأميـــرة) رغـــم أسْـــر ... تنـــدد بـــالفراعن والفســـاد

وتُظهـــر دينهـــا فـــي ســـاح ســـجن ... ولا تخـــش العقـــاب ، أو العـــوادي

وتـــدعو الله فـــي ســـر وجهـــر ... وفـــي مـــلأ ، وبعـــدُ علـــى انفـــراد

وعبـــر الليـــل تـــدمعُ مقلتاهـــا ... وبـــات مُحرَّمـــا طعـــم الرقـــاد

ويـــأتي ـ مـــن مليـــك النـــاس ـ غـــوْث ... بليـــل قـــد توشّـــح بالســـواد

فتصـــحب ســـارة وبـــأمر طـــاغ ... فقـــد طلبـــتْ ، وبـــاءت بـــالمراد

وباتـــت ـ للخليـــل الشـــهم ـ زوجـــاً ... وأســـكنها الخليـــل بخيـــر واد

وإســـماعيل أمســـى خيـــر عـــوْن ... والابـــنَ البـــرّ مـــن أزكـــى العِمـــاد

فـــأخوال الأعـــارب مـــن صـــعيدٍ ... وللأخـــوال ـ فـــي الـــرحِم ـ الأيـــادي

وللماريّـــة العصـــماء قـــدْرٌ ... فقـــد حظيـــتْ بعاطفـــة الـــوداد

فقد كان النبي بها رحيماً ... لغربتها على أهل البلاد

وأكرمها ، وأسكنها (العوالي) ... ببيتٍ قد سَما بين الوهاد

كفى أهلُ الصعيد بذاك فخراً ... ومجداً في القبائل والنوادي

وعِزاً - في المناقب - لا يُباري ... وصِيتاً في الحواضر والبوادي

فأصهارُ الخليل أجلّ شأناً ... ونحن اليوم نفخر بامتداد

وأصهار الحبيب أعز قدراً ... وإن لنا - بذا - بعضَ اعتداد

وإن نأت الديار ، فنحن أهلُ ... للؤلؤتين ، والإطراءُ باد

فلؤلؤة بمكة قد أقامت ... وآذنها الخليل بالابتعاد

ولؤلؤة بطيبة قد أقامت ... وبعض الأهل في بَركِ الغِماد

على كلٍّ سَلامُ الله دوماً ... فهم - والله - مِن خير العِباد

القاضي المصري الرحيم (هشام الشريف)

(الدكتور هشام الشريف ابن محافظة سوهاج ، الصعيدي المحترم ، من بيت الشريف بسوهاج ، وزير التنمية المحلية الأسبق في وزارة شريف إسماعيل. ولد عام 1953م ، وهو خبير في مجال تكنولوجيا المعلومات ، ومؤسس مركز معلومات مجلس الوزراء المصري ، وحصل على بكالوريوس الهندسة الكهربائية من الكلية الفنية العسكرية ، ثم حصل على ماجستير من جامعة الإسكندرية ، وحصل على درجة الدكتوراه في نظم دعم القرار من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بجامعة كامبريدج الأمريكية عام 1983 م. وترأس هشام الشريف مركز معلومات مجلس الوزراء 1990 - 1999 بعد أن قام بتأسيسه ، وقام بدور أساسي في إنشاء مراكز المعلومات على مستوى المحافظات والمراكز والقرى وتدعيمها وكذلك مراكز التدريب ، وساهم في إصدار عدة نسخ من كتاب وصف مصر بالمعلومات ، ووصف المحافظات ويعتبر أحد خبراء العالم في مجال تكنولوجيا المعلومات. كما أسس هشام الشريف العديد من الشركات في قطاع المعلومات ومنهم نايل أون لاين ، ثم أسس صندوق استثمار في قطاع تكنولوجيا المعلومات ، وهو رئيس المركز الإقليمي لتكنولوجيا المعلومات! ويكفي ثناء ومدح الأستاذ علاء رضوان في حديثه عن المستشار القاضي هشام الشريف فقال ما نصه: (في الواقع إن القاضي مهما تدرب وتعلم ، فإن شخصيته وتداركه وفهمه للأمور يظل أهم من التدريب ذاته ، وهذا ما يؤكد إعطاء القانون السلطة التقديرية للقاضي ، مهما توافر لديه من قرائن وأدلة ، حيث إن حسه الشخصي يغلب القانون ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أمرت أن أحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر)! ومن أمثلة هؤلاء القضاة الشرفاء الذين اشتهروا بتحري الرحمة والعدل القاضي «هشام الشريف» ، أحد قضاة محكمة الجنايات ، والذى كان يشغل رئيس دائرة جنح مستأنف حلوان في فترة أواخر التسعينات ، حيث عُرف عنه داخل المحاكم المصرية ، أنه يمتاز بالرحمة والعلم في نفس الوقت كغيره من أمثاله من بعض قضاة مصر الأجلاء! القاضي «هشام الشريف» اشتهر بالتزامه بآداب المنصة ووقارها ووده الدائم مع المحامين ، حيث كان كل المتهمين يطمئنون جداً لأحكامه ، حتى تلك التي يحكم فيها بتأييد العقوبة ، كان المتهم يخرج من القاعة راضياً ومطمئناً بأن هذا الحكم من هذا القاضي هو غاية المنتظر من العدل والحق والرحمة ، وفى غيرها كان يخفض الكفالات للمواطنين المعسرين ، وأحيانا كثيرة يدفعها من ماله الخاص! في إحدى الجلسات عرضت على القاضي «هشام الشريف» قضية اهتزت لإنسانيتها وشفافيتها جنبات محكمة جنوب القاهرة في باب الخلق ، حين نودي على اسم المتهمة «وكان لا يضع النساء داخل القفص» ، بل يبقين خارجه على مسؤوليته الشخصية! وكانت تحاكم بجريمة تبديد لمبلغ في إيصال أمانة ، ودخلت المتهمة على المنصة ، وكانت في أواخر الخمسينات من عمرها ، وكانت محبوسة ولم يفرج عنها ، لعدم سداد الكفالة. واللافت للنظر كان حالها الفقير وسألها القاضي «الشريف»: «أنت يا ست (فلانه) ما دفعتيش الـ7000 جنيه للسيد (فلان)» ، وبصوت أقرب للبكاء الخائف والمرتعش أجابته المسكينة بأن المبلغ ليس 7000 جنيه ، وإنما في حقيقة الأمر هو 1000 كانت قد استدانت بهم نظير شراء بضاعة من السيد «فلان» التاجر ووالد الاستاذة المحامية الحاضرة في الجلسة ، وأنها كانت تسدد له 60 جنيها كل شهر، لكن حدث لها ظروف منعتها من السداد ، فيما رفض التاجر «فلان» الانتظار ورفع عليها الإيصال. وفي تلك الأثناء ، التفت

القاضي «الشريف» للمحامية ، وسألها بأدب جم وهدوء: «الكلام اللي الست بتقوله حقيقي؟» فأنكرت المحامية معرفتها بالحقيقة ، فما كان من القاضي ، إلا أن نظر إلى المتهمة وسألها عن حالها ، وعلم أنها أرملة ، وتعمل لتربية بناتها الثلاثة فنظر لها ، وقال: «هتتحل إن شاء الله» ، ثم رفع الجلسة. وقبل أن يدخل القاضي «الشريف» غرفة المداولة ، وجه كلامه للمحامين وقال: «أنا أعلم أنكم أصحاب فضل ومروءة ، ولن تتأخروا عن فعل المعروف» ، وأخرج منديلاً كان في جيبه ، ووضعه على المنصة ، وأشار إلى الحاجب ، ثم أخرج من جيبه مبلغاً وقال: «هذه 500 جنيه كل ما معي ، ولا أدري مَن مِن السادة المستشارين سيشاركني ، وهي أول مشاركة لسداد دين هذه السيدة» ، ثم شكر الحاضرين ودخل غرفة المداولة! وفي هذه اللحظة ، بدأ المحامين في التباري في الدفع بدأهم أحدهم بـ 1000 جنيه ، ثم توالى الباقون حتى تجمع في المنديل ما يتجاوز الـ8000 جنيه ، وقبل ذلك كانت المحامية ابنة صاحب الدين قد خرجت بسرعة إلى خارج المحكمة لتتصل بوالدها وتخبره بما تم ، وعادت المحامية القاعة ونودي عليها حين دخلت المتهمة المسكينة غرفة المداولة. وكان القاضي «الشريف» جالساً خلف مكتبه ، وأشار للمحامية قائلاً: « فيه 7000 جنيه موجودة في المبلغ الموجود بالمنديل تقدري تاخديه وتتصالحي مع المتهمة ونمشيها» ، ثم أشار إليها بأخذ الفلوس ، وفي تلك الأثناء ، كانت هناك مفاجأة أخرى ، حيث قالت المحامية أن والدها أخبرها بألا تأخذ أكثر من 500 جنيه قيمة الباقي على المرأة المدينة! شكر القاضي «الشريف» أمانة المحامية ، وابتسم ناظراً للمحامين الذين ملأوا غرفة المداولة وقال: « أظن أنها أخذت الـ500 جنيه بتاعتي أنا! فضحك الجميع وقاطعهم قائلاً: وأظنكم لا تريدون أن يحرمكم الله ثواب المشاركة» ، وعلا صوت المحامين في الغرفة بالتأييد ، فنظر إلى المتهمة ومد يده بالمنديل وباقي الـ 8000 جنيه وقال: وهذه من الله لك! وضجت غرفة المداولة بالتهليل والتكبير والذي سرى إلى القاعة وهتف كل من فيها وهرول كل الحاضرين في المحكمة إلى هذه القاعة ليعلموا ماذا حدث! ثم يعلمون بأن ما حدث كان وجود قاضي رحيم كان منه كذا وكذا وكذا!).هـ. يقول الأستاذ حسان أحمد العماري وتحت عنوان: (نصرة المظلوم في عصر الظلمة) ما نصه: (الحقوق محفوظة ومصونة ، والواجبات معروفة ومطلوبة ، من شأنها أن تشد الروابط بين المسلمين وتزيد الألفة فيما بينهم في مشارق الأرض ومغاربها ، وتحفظ وحدتهم وتصون كرامتهم ، وتحفظ حقوقهم ذلك أن المؤمن شأنه أن يعيش عزيزاً ، فهو يحمل رسالة عظيمة وينتمي لأمة عظيمة ورسوله صلى الله عليه وسلم أعظم الرسل. لقد حرص الإسلام أن يعيش أبناءه في ترابط وتعاون وتناصر حتى يسود المجتمع الأمن والأمان والمحبة والحنان. يقول الله تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلذين مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً سيمٰهُمْ في وُجُوهِهِمْ مّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ في ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ في ٱلإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شطأه فآزره فَٱسْتَغْلَظَ فَٱستوىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلذين آمنوا وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰالِحَات مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}. وبقدر تمسك الفرد منا بهذه القيم والواجبات وجعلها نظام عمل في هذه الحياة بقدر ما يكون قريباً من الله.... قريباً من خلقه. ولعل من أهم الواجبات والحقوق التي على المسلم لأخيه المسلم ما ورد في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: حيث قال: "أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام ، ونصر المظلوم ، وإبرار المقسم". (رواه البخاري ومسلم). أين من ينصر مظلوماً في هذا

الزمان؟ وما أكثر المظلومين في زماننا ، وكم يرى الناس من إنسان ينتهك عرضه وتداس كرامته ويسلب ماله ويسفك دمه ثم لا يجد من ينصره أو من يقف بجانبه! وأصبح هذا الحق والواجب ضائعاً وغريباً في حياتنا.. قال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرا} ، وقال تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}. ويقول صلى الله عليه وسلم: «ما من امرئ يخذل امرأ مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته ، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته» (رواه أحمد). وعن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أُذِلّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذلّه الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة». [(رواه أحمد بسندٍ حسن). والله تعالى يقول: {لُعِنَ ٱلذين كَفَرُواْ مِن بني إسرٰائيل عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذٰلك بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يتنٰاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لبئس مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم». (حسنه الألباني).هـ. طبعاً هذه سيرة سوف يخلدها ويثمنها التاريخ ، ويشرف الشعر بذكرها العذب! وإنه لشرف كبير لي وأنا شاعر صعيدي وتحديداً من سوهاج أن أكتب عن مستشار صعيدي! لا من باب القومية بجامع أن كلانا صعيدي من سوهاج ، ولكن للمروءة التي كان عليها ذلك الصعيدي الشهم الذي اتسم بالمروءة والجد! وأسأل الله أن يصلح للقاضي الشريف دينه ودنياه وآخرته!)

حـــيّ القضـــاءَ ، وأوْلِـــهِ التكريمـــا ... إن كـــان حقـــاً ينصـــر المظلومـــا

وامنحـــه مـــن أرج الشـــرافة جانبـــاً ... إمـــا تـــورّع أن يكـــون ظلومـــا

واجعلـــه فـــي أوج الكرامـــة شـــامخاً ... إن أحســـن الأحكـــام والتحكيمـــا

وأنِلّـــهُ أمـــداحاً تـــروقُ لســـامع ... إن حكّـــم الشـــرع الحنيـــف قويمـــا

واخلـــع عليـــه مـــن المهابـــة والبهـــا ... مـــا يســـتحق ، وضـــاعفِ التكريمـــا

إن القضـــاء إذا تنـــزه واســـتمى ... مـــنح الـــبلادَ حضـــارة ونعيمـــا

وأضـــاء هـــذا الكـــونَ نـــورُ عدالـــةٍ ... وغـــدا قضـــاة العـــدل فيـــه نجومـــا

وحبـــا العِبـــادَ حقـــوقهم وأمـــانهم ... وأزال عـــن دنيـــا الأنـــام غمومـــا

ولأنصـــفَ القـــوم اســـتبيحتْ دُورُهـــم ... وعلـــيهمُ صَـــبّ الطغـــاة حميمـــا

ولـــئن نســـيتُ ، فلســـتُ أنســـى قاضـــياً كفـــل الضـــعيفَ ، وأبهـــج المغمومـــا

وهنـــاك فـــي (حلـــوانَ) كـــان نضـــاله وكفاحـــه ، أعنـــي (الشـــريف) هشـــيما

شـــهدته تســـعينات قـــرن قـــد مضـــى إذ كـــان فـــي ســـاح القضـــاء حكيمـــا

مســـــتلهماً أدب التحـــــاكم والقضـــــا لمـــــا يكـــــنْ متفرعنـــــاً مـــــذموما

حتـــى محـــاموه ارتـــأوا فيـــه المضـــا والحـــــزمَ والإشـــــفاق والتصـــــميما

والمـــــذنبون يـــــرون رحمـــــة حكمـــــه إذ كـــــان حقـــــاً – بالجُنـــــاة - رحيمـــــا

ولقـــد يـــؤدي عـــن مَـــدين دَيْنـــه إن (الشـــريف) البـــر عـــاش كريمـــا

أســـمعت عـــن قـــاض يجـــود بمالـــه حتـــى يبـــرّئ غارمـــاً مكظومـــا؟

أســـمعت عـــن قـــاض يلاطـــف جانيـــاً كـــيلا يـــوبخ منـــذراً ويلومـــا؟

هـــذا هـــو القاضـــي (الشـــريف) ، خِلالـــه مشـــهورة ، والصـــيتُ بـــات عظيمـــا

حتـــى أتـــى دَور التـــي مـــا ســـددتْ دَيْنـــاً ، وأصـــبح قلبهـــا مكلومـــا

وأتـــت إلـــى القاضـــي (الشـــريف) طليقـــة والـــدمعُ أصـــبح هـــاطلاً مســـجوما

لا قيـــدَ ، لا قفصـــاً ، ولكـــنْ حســـرة فـــي القلـــب ، لـــيس مصـــيرها معلومـــا

و(شـــريفنا) نـــادى عليهـــا مُكْبـــراً لمّـــا رأى – فـــي المُقلتـــين - همومـــا

لـــمَ لـــمْ تـــؤد الـــدَّيْن يـــا ســـت النســـا؟ هـــي ســـبعة الآلاف ، لســـتُ مَلومـــا!

لكنـــــه حـــــقٌ يُـــــرد لأهلـــــه أتـــــرين قـــــولي واضـــــحاً مفهومـــــا؟

أم أشـــكلتْ جُمـــلٌ عليـــكِ أعيـــدُها؟ هـــل تقبلـــين – لـــدَينكِ – التســـليما؟

قالـــت: وربـــي الـــدَينُ ألـــفٌ واحـــدٌ أنـــا لســـتُ أملـــك منـــه لـــو مِليمـــا!

قـــال: اصـــدُقيني عـــن حياتـــكِ كلهـــا وتكلمـــي عمـــا جـــرى تكليمـــا

فالكـــــل منتصـــــتٌ لكـــــل كُليمـــــةٍ وتخيـــــري لفظـــــاً يكـــــون ســـــليما

وعليـــكِ بالصـــدق الـــذي هـــو حُجـــة وتجنبـــــي قـــــولاً نـــــراه ســـــقيما

قالـــــت: وربـــــي أرمـــــلٌ ومُعيلـــــة فـــــي عـــــالم أمســـــى علـــــيّ غســـــيما

أمـــــا بُنيـــــاتي الـــــثلاث فعُـــــدتي فـــــي العـــــيش ، لـــــولاهن صـــــار أليمـــــا

وأعـــــيشُ يكلـــــؤني نـــــوالُ المحسنيـــــ ـــــن جمـــــيعِهم ، مَـــــن أطعمـــــوا المحرومـــــا

هـــــذا تكفـــــل بالـــــدوا وغطائنـــــا وســـــواه ســـــاق الشـــــربَ والمطعومـــــا

والحـــــال أشـــــكوه لخالقنـــــا الـــــذي هـــــو بالـــــذي ألقـــــاه كـــــان عليمـــــا

فأجابهـــــا القاضـــــي: ســـــيُفرجها الـــــذي خلـــــق الأنـــــامَ ، وأوجـــــد المعـــــدوما

وعلـــــى المنصـــــة شـــــد منـــــديلاً يُـــــرى للنـــــــاظرين مقسّـــــــماً تقســـــــيما

وعليـــــه خمـــــس مـــــن مئـــــاتٍ ترتجـــــي مـــــنهم مزيـــــداً يُكْمـــــلُ المرقومـــــا

وتكفـــــل القاضـــــي بمـــــدح رفاقـــــه والحاضـــــــرين مُقيّمـــــــاً تقييمـــــــا

ويقـــول: أنـــتم أهـــل فضـــل فـــي الـــورى وأقـــــول ذلـــــك قاصـــــداً تعميمـــــا

إنـــــي أراكـــــم أهـــــل كـــــل مـــــروءةٍ هـــــا قـــــدّموا معـــــروفكم تقـــــديما

فـــــتحمّس الجمهـــــور يُبـــــدي جـــــوده أمســـــى الجـــــواب محببـــــاً ومَرومـــــا

فـــــإذا بـــــآلافٍ ثمانيـــــة علـــــى منـــــديل قاضـــــينا تصـــــد خصـــــوما

وإذا محاميـــــة الموكّـــــل صـــــرّحتْ بحقيقـــــة الـــــدين المثيـــــر قصـــــوما

مـــــن أنـــــه خمـــــسٌ مئـــــاتٌ لا ســـــوى فأســـــرتِ التحكـــــيم والمحكومـــــا

فتناولـــــت خمســـــاً مئـــــاتٍ ، وانـــــزوتْ وأتـــــى كـــــلامٌ لـــــيس بعـــــدُ بهيمـــــا

مـــــن أن مـــــا يبقـــــى لمـــــن هـــــي سُـــــربلتْ حتـــــى تُربِّـــــيَ مُعـــــدماً ويتيمـــــا

فاستبشـــــروا خيـــــراً ، وهلـــــل جمعُهـــــم والـــــبعضُ عظـــمَ مـــا يـــرى تعظيمـــا

وأنـــــا كتبـــــتُ الشـــــكر شـــــعراً بينـــــاً كـــــيلا يكـــــون مـــــن الكـــــرام عقيمـــــا

أكبـــــرتُ مـــــا فعـــــل (الشـــــريفُ) بحُرمـــــةٍ عـــــدمتْ عطوفـــــاً فـــــي القضـــــاء رحيمـــــا

حتـــــى إذا بـــــرز (الشـــــريفُ) استبشـــــرتْ خيـــــراً يزيـــــل عـــــن الضـــــعاف جحيمـــــا

بـــــك يـــــا (هشـــــامُ) تشـــــرفت أنشـــــودة ورأيـــــت شـــــعري طيبـــــاً مكرومـــــا

أعطيـــــت درســـــاً للقضـــــاة مـــــدعماً بأدلـــــةٍ تـــــدع الجهـــــولَ عليمـــــا

ويـــلٌ لقاضـــي الأرض مـــن قاضـــي الســـما إن كـــان لـــيس يُناصـــرُ المظلومـــا!

لأنها من الصعيد

(انتقلت من القرية إلى المدينة في بيت أخيها الأكبر لأنها تدرس في الجامعة. واستطاعت بفضل الله ورحمته وعونه أن تحافظ على دينها وتقاليد قومها الموافقة للشرع حتى انتهت من دراستها. وعادت وما للجاهلية عليها بصمة. وقليل من الأبناء والبنات من يفعل ذلك. إذ إنهم يتوهمون أنهم إن ذهبوا إلى المدينة بحجة الدراسة هناك ، فقد انفلتوا من رقابة الوالدين والأهل (وهذا صحيح) ، فهل انفلتوا كذلك من رقابة الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء؟ إن الذي يظن أنه يخدع الناس قد يتحقق له ذلك. والذي يظن أنه يخدع نفسه فليفعل ما بدا له. ولكن من كان يظن أنه يخدعُ الله رب الأرض والسماء فهيهات هيهات! ومن هنا فقد أعجبني سلوك هذه الفتاة الجامعية الصعيدية التي امتحنت هذا الامتحان الشاق العسير ، فاستعانت بالله وأعانها الله وحققت نجاحاً كبيراً في المحافظة على نفسها التي بين جنبيها من ركام الجاهلية وفتنتها الماحقة ، فحييتها بالشعر! في مقالة طويلة عنوانها: (الكرامة الإنسانية ومظاهرها في الإسلام) بقلم: آصف إقبال القاسمي الجهان آبادي ، باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة دلهي ، يقول الباحث ما نصه: (خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم ، وصوّره أجمل تصوير وكرّمه أكمل تكريم ، فشرّفه بالعلم والعمل ولقبه بأشرف الخلائق في الأرض ، وأمر الملائكة بالسجود له عند خلقه من صلصال من حمأ مسنون ، وقد جعله الله تعالى خليفةً له على الأرض ، ومنحه العديد من المواهب والمزايا التي تميزه عن سائر المخلوقات والمكونات، فوهبه العقل الذي يميز به الصحيح والخطأ والمفيد والضار، والخير والشر ، ووهبه القدرة على التفكر والشعور حتى يخوض فيما يُحيط به هذا الكون من الأفلاك والسيارات والفضاء والبحار والمعادن. وسخّر له هذا الكون وجعل كل ما فيه وحتى الملائكة لخدمتهم ، واختار من هذه البرية المكرّمة صفوة من الأنبياء والمرسلين واجتباهم لهداية العلمين ، وقد أعطى الإنسان حرية الاختيار في الكثير من الأشياء ، فالإنسان قادر على اختيار ما يريد اتباعه أو ما يريد القيام به ، ولهذا صار مسؤولًا ومحاسبًا وبه أصبح مكرمًا ومحترماً ، وكل ذلك هو من مظاهر تكريم الله للإنسان ، واحترامه له وتفضيله على كل المخلوقات التي تشاركه العيش على سطح هذه الأرض. وإنما الكرامة الإنسانية كما ينص عليه الإسلام هي حقٌّ مشاعٌ ، يتمتع به الجميعُ من دون استثناء وتقييد ، فلا يجوز لأحدٍ أن ينتهك كرامته ويخرق شرفه ومكانته المرموقة ، ولا يمتلك أحدٌ أن يجرده من كرامته التي أودعها إياه وجعلها من فطرته وصلبه ، ويستوي في ذلك المسلمُ الذي يؤمن بالقرآن وبالسنة وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى ، أو من لا دين له ، ولكي تصان هذه الكرامة وتحفظ هذه المنزلة ، فقد شرع الله سبحانه للإنسان العديدَ من التشريعات والتوجيهات. وتعتبر «الكرامة الإنسانية» من أهم القضايا الإنسانية الحديثة لدى المنتديات الإنمائية والمنظمات الإنسانية الدولية ، وتنال اهتمامًا واسعاً من قِبل مؤسسات وهيئات المجتمع المدني والسياسي ، وتتصور هذا المصطلح أساساً للقوانين العالمية العادلة لحقوق الإنسان وقضاياه ، وتستند إليه الدساتير والتشريعات الحكومية الدولية في أيامنا هذا، وعيًا بأن الكرامة الإنسانية لا بد من تفعيلها في المجتمع الإنساني النامي. فأول من أدخل مفهوم الكرامة الإنسانية في دستوره كما أفادت الموسوعة الحرة «ويكيبيديا» ، هم الإيرلنديون سنة 1937م ، وبالتالي جرتْ البلادُ الأوربية الأخرى وما سواها من الدول العالمية مجراها ، وأثبتت قانون الكرامة الإنسانية في دستورها ، لتمر القوانين من تحت سقفها ، فتبقى أسمى من أن يعلو عليها قانون أو حكم ، فهي منبع القوانين والدساتير للدول والمؤسسات في العصر الراهن أي عصر «الأيديولوجية»).هـ. وأفاخر وحُق لي

أن أفاخر بفضليات بنات الصعيد من المسلمات المؤمنات الموحدات اللائي آثرن الآخرة على الدنيا! وإن كنت أنسى بنات (الكولة) ونساءها هناك في أخميم – سوهاج في صباحهن الباكر ، وهن يستيقظن مبكراتٍ نشيطات هذه إلى مزرعتها حاملة حشائش الحيوانات فوق رأسها ، وتلك إلى حقلها حاملة المسحاة والمقاطف وغيرهما من الأدوات ، وهاتيك إلى مدرستها حاملة حقيبة الكتب والدفاتر والكراسات والأقلام! في دأب ونشاط وحيوية ، متفاعلات مع الحياة ، يبتسمن للحياة ، وتبتسم لهن الحياة! وما (سُمية) بطلة قصيدتنا إلا واحدة من هؤلاء وإن اختلف المكان والزمان والحال! ومن هنا رحتُ أفاخر بسُمية ابنة الصعيد المثالية التي استطاعت بفضل الله تعالى أن تدخل المدينة للدراسة ، وتخرج وقد أحرزت الهدف ، ولم تكن - للمدنية الزائفة ولا للجاهلية الضاربة الأطناب في الأرض اليوم - عليها بصمة من بصماتها النكدة العفنة! فجزاها الله خيراً وأتم عليها فضله! وإذا لم أفاخر بسمية وأمثالها فبمن أفاخر؟!)

قلـــدتُكِ الميمـــون مـــن أمـــداحي ... يـــا بنـــت خيـــر قبيلـــةٍ وبطـــاح

مـــا عشـــتُ أكْبِـــرُ غـــادة ، أخلاقهـــا ... تهفـــو لكـــل فضـــيلةٍ وصـــلاح

والـــدينُ جمَّـــلها ، وصـــان عفافهـــا ... فالـــدينُ خيـــرُ وســـيلةٍ وســـلاح

والشـــرعُ أفضـــلُ مـــا يصـــون صـــبية ... فـــي حانـــة الأوتـــار والأقـــداح

وبـــداوة درجـــتْ علـــى نفحاتهـــا ... فـــي (النجـــع) بـــين مناكـــب الأدواح

حتـــى إذا شـــبتْ تقلـــدتِ الهُـــدى ... وتفـــاخرتْ بعبـــاءة ووشـــاح

وتلـــتْ مـــن الآيـــات ، تُفحـــم خصـــمها ... لا شـــيء يُـــزري بالهُـــدى المِنصـــاح

وتمسّـــكتْ بـــالحق دون ترهـــل ... فاستبشـــرتْ بـــالخير والأفـــراح

والمغريـــات علـــى الـــدروب كثيـــرة ... لا شـــيءَ بـــين النـــاس غيـــرُ مبـــاح

وصـــويحباتٌ بِعـــنَ كـــل فضـــيلةٍ ... بـــدراهم الغـــادين والـــرّواح

ومنـــاهجٌ تـــدعو لكـــل رذيلـــةٍ ... كزنـــا الـــدواعر واشـــتباك الـــراح

لكـــنَّ غادتنـــا تســـامتْ وارتقـــتْ ... واستعصـــمتْ بشـــريعة الفتـــاح

تـــا الله مـــا ضـــد الأمـــور كضـــدها ... شـــتان بـــين (ســـميةٍ) و(ســـجاح)!

هـــذي (الســـمِية) مـــن صـــعيد بلادنـــا! ... و(ســـجاحُ) عِـــرضٌ بِيـــعَ بَيـــعَ سَـــماح!

ليس هذا من صعيد مصر!

(إن المسلم الصعيدي الأصيل لا يتنازل عن عاداته وتقاليده وأعرافه الموافقة للشريعة أبداً. إذ هي جزءٌ من هذا الإنسان. وهذه مَحمدة فيه. يقول الأستاذ سعد الحُميّد: (لا شك أن القيم التي يحملها الإنسان تترك أثرها في سلوكه سلبًا أو إيجابًا ، وللقيم الإسلامية آثارٌ في بناء الشخصية وبناء المجتمع ، وأول هذه الآثار هو تقوية صلة الإنسان المسلم بالله - عز وجل - إلى الدرجة التي تجعله يراقبه في السر والعلن ، في كل حركاته وسكناته ، فهو لا يُقدم على شيء إلا وهو يُراعي حُرمة الله ويرجو له وقارًا ، والقيم تمثل أساساً في تكوين العلاقات بين الناس ، وتسهم بشكل فعال في تحديد طبيعة التفاعل بينهم ، إضافة إلى أنها تشكل معايير تنظم سلوك الإنسان).هـ. وقصيدتي من البحر المضارع لكل صعيدي تنازل عن صعيديته.)

إن التقاليـــــــــــــدَ زينـــــــــــــةٌ ... وحِليـــــــــــــة مُســـــــــــــتبينةٌ

إن وافقـــــــــتْ شـــــــــرعَ ربـــــــــي ... وآيَ ربـــــــــي المُبينـــــــــة

وللصـــــــــــعيد سَـــــــــــجايا ... مهمـــــــا اســـــــتبيحتْ مَصـــــــونة

لهـــــــا التنكـــــــرُ عـــــــارٌ ... وخيبـــــــة ورعونـــــــة

ومـــــــا التنـــــــازلُ عنهـــــــا ... تُمليـــــــه ذاتٌ رزينـــــــة

إن المبـــــــــاديء كنـــــــــز ... وكـــــــم كنـــــــوز ثمينـــــــة!

ولا يُفـــــــــرّط فيهـــــــــا ... غيـــــــر النفـــــــوس الغبينـــــــة

وللمعـــــــــالى ليـــــــــوثٌ ... تمـــــــيط عنهـــــــا الدجونـــــــة

إن الصـــــــــعيد انتمـــــــــاءٌ ... إنْ كـــــــان الأسـلام دينـــــــه

يقـــــــود ركـــــــبَ التســـــــامي ... إلـــــى الهُـــــدى فـــــي ســـــفينة

وفـــــــي خِضـــــــمّ التـــــــدني ... علـــــــى الصـــــــعيد الســـــــكينة

هـــــــــذي حقيقـــــــــة دار ... أعرافهـــــــا - اليـــــــومَ - زينـــــــة

لهـــــــا شـــــــعارٌ وزِيٌ ... ومَكرمـــــــاتٌ حســـــــينة

يشـــــدو بهـــــا كـــــل حَـــــي ... لـــــولا الهـــــوى والضـــــغينة

وصولُ أهل الصعيد

(مهما كتبنا عن صعيد مصر العزيز ، وعن مناقب أهل القيم والمبادئ والأخلاق من أهل الصعيد ، فما أظننا وفيناهم وصعيدهم حقهم. وكانت لي محاولات عدة من قبل في الذود عن هؤلاء الأماجد الأعزة. وإن الذي يُطالع بعض المراجع التي تناولت الصعيد وأهله يدرك من كلامي الكثير. فعندنا مثلاً (كتاب تاريخ الصعيد للأستاذ / علي بن عبد العزيز شاكر– وكتاب الطالع السعيد الجامع لأسماء فضلاء الصعيد للإدفوي – وكتاب العقيد في تاريخ الصعيد لابن يونس- وكتاب القول المفيد في آثار الصعيد للأستاذ / محمد عاطف - وكتاب المفيد في أخبار الصعيد للإدريسي) ، وغير ذلك من المراجع والمصادر التي تحدثت عن الصعيد المصري بإنصاف. إن هذه المراجع والمصادر التي تحدثتْ عن الصعيد المصري بإنصاف. إن هذه المراجع تعتبر حجة دامغة في وجوه الأراذل الذين يستهزئون بمغاوير أهل الصعيد. وكنتُ قد كتبت من قبل قصيدة تحمل عنوان: (الصعايدة وصلوا) في الرد على المتنطعين الهازلين لأوقفهم عند حد. واليوم أكتب هذه القصيدة تهنئة لأهل الصعيد وصولهم وإن كره الحاقدون. كما أعرّج فيها على ما ينبغي عليهم الالتفات إليه في مرحلتنا الحضارية. وضلت أقوام يعتبرون أهل الصعيد لا علاقة لهم بالعرب! وهذا محض كذب وإفك مفترى. فلقد سكنت الصعيد قبائل عربية معروفة إلى اليوم! وفي محاضرة بعنوان: (رسالة إلى الشرفاء) يقول الأستاذ سالم العجمي ما نصه: (إن الغيرة على العِرض والشرف ما تميز به العرب ؛ حتى قبل أن تشرق الشمس بنور الرسالة المحمدية ؛ فكان العرب يفخرون بذلك ويبذلون في سبيل الحِفاظ على عِرضهم الغالي والنفيس. فإن العرب الذين أنتم من سلالتهم ؛ كانوا يتميزون بالخلق العالي وهو الغيْرة على الشرف. والغيْرة على الشرف من أعظم المنازل ؛ وهي دليل على الفحولة والرجولة ؛ ومن أفلت زمام الأمر ؛ عُدَّ من سقط المتاع فلا قيمة له ولا قدر).هـ. يَنهى- تعالى - عن السخرية بالناس ، وهي احتقارُهم والاستهزاء بهم ؛ كما ثبت في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (الكِبْر بَطرُ الحق ، وغمص الناس - ويروى: وغمط الناس) ، والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام ؛ ولهذا قال - تعالى -: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ) ، وقوله - تبارك وتعالى -: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) ؛ أي: لا تلمزوا الناس ، والهمَّاز اللمَّاز من الرجال مذمومٌ ملعون ؛ كما قال - تعالى -: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) ، والهمزُ بالفعل ، واللمزُ بالقول ؛ كما قال - عز وجل -: (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) ؛ أي: يحتقر الناسَ ويهمزهم طاغيًا عليهم ، ويمشي بينهم بالنميمة ، وهي اللمز بالمقال! ولهذا قال ها هنا: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ)، كما قال: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) ؛ أي: لا يقتل بعضُكم بعضا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومقاتل بن حيان: (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) ؛ أي: لا يطعن بعضكم على بعض. وقوله - تعالى: (وَلَا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ) ؛ أي: لا تدعوا بالألقاب ، وهي التي يسوء الشخصَ سماعُها. قال الإمام أحمد: قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينةَ وليس فينا رجل إلا وله اسمانِ أو ثلاثة ، فكان إذا دعا أحدًا منهم باسم من تلك الأسماء ، قالوا: يا رسول الله ، إنه يغضب من هذا ، فنزلت: (وَلَا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ) ، رواه أبو داود. والصعيد في أصل تكوينه قبائل عربية أصيلة لها ما للعرب من سؤدد وكرامة وأصالة! والأستاذ محمود عبد الوارث يؤكّد أن هناك ستة عشر عائلة معروفة في صعيد مصر ، بعضها انحدر من شبه الجزيرة العربية ودول المغرب ، فيقول ما نصه: (بعيدًا عن تدهور الحياة المعيشية في بعض القرى الصعيدية ،

والحفاظ على تقاليد وعادات بعضها غير مستحبة لمن يعيشون خارج تلك البقعة ، يظل الجنوب هو أصل للعديد من الشخصيات العامة المؤثرة في حركة البلاد بأسرها سياسيًا كان أو اقتصاديًا. على أرض الصعيد انحدرت عائلات من مختلف بقاع الأرض ، من شبه الجزيرة العربية وحتى دول المغرب ، لتصبح المنطقة أشبه بنقطة تلاقٍ للثقافات المختلفة. * العائلة الأولى: عائلة قرشي تعيش عائلة «قرشي» في محافظة أسيوط مركز ديروط ، وأساسها هو قطب باشا قرشي ، وشقيقه «أحمد» ، فكان الأول عضو بمجلس شورى القوانين ، والثاني عضو بمجلس النواب والشيوخ ، وتعود أصولها إلى شبه الجزيرة العربية. شاركت العائلة في ثورة 1919م ضد الاستعمار البريطاني ، حينما تربص أحمد باشا قرشي ، رفقة أهالي أسيوط ، بالقطار الإنجليزي ، وقضوا على ما به من قيادات إنجليزية. حرصت العائلة على التواجد تحت قبة البرلمان ، ومن أبرز أفرادها ، بجانب «قطب» و«أحمد» ، هو سيد بك قرشي ، الذي ظل عضوًا بمجلس الشيوخ حتى عام 1952م ، بينما كان إبراهيم بك عضوًا في مجلس الأمة ، وهو التواجد الذي استمر حتى مصطفى أحمد قرشي ، كنائب بمجلس الشعب ، وحمادة زين قرشي في مجلس الشورى عام 2010م. * العائلة الثانية: عائلة رضوان في قرية الزيتون بمركز ناصر شمال بني سويف ، تتواجد عائلة «رضوان» ، التي ينتمي إليها أحمد سالم رضوان خال المذيع الكروي محمد لطيف ، والذي عمل مديرًا عامًا لمصلحة الطرق في السابق ، وعضوًا بمجلس إدارة نادي الزمالك ، كما أنجب ولدين هما اللواء محمد أحمد سالم ، أحد أبطال حرب أكتوبر ، والثاني اللواء سعيد أحمد سالم. فيما يُعتبر شكري رضوان كبير العائلة ، من خلال جهوده الكبيرة في عقد جلسات الصلح واللقاءات العُرفية ، وذلك لكونه ابن عمدة القرية حسن رضوان ، كما أنه كان نائبًا بمجلس الشورى لدورة واحدة ، وفي مجلس الشعب دورتين. وسار نجله على نفس النهج، وهو المستشار محمد شكري رضوان ، الذي حافظ على وجود منصب العمودية في العائلة. نتيجة بحث الصور عن حمد باشا الباسل. * العائلة الثالثة: عائلة مؤمن بالانتقال إلى الفيوم ، تبرز عائلة «مؤمن» في قرية طبهار ، وهم من عرب الرماح الذين يرجع نسبهم إلى قبيلة الفوايد ، فيما يعود الأصل إلى الجبل الأخضر بليبيا. من الأسماء البارزة فيها حمد باشا الباسل ، المنفي مع سعد باشا زغلول إلى جزيرة سيشل ، بينما مثّل خالد مؤمن دائرة الفيوم بالمجلس النيابي عام 1935م ، وسبقه بـ 5 سنوات شعبان بك مؤمن ، عضو بمجلس الشيوخ ، وتبعهما الدكتور حافظ محمد مؤمن سنة 1936م ، وهي الرحلة التي امتدت حتى الألفية الثالثة. * العائلة الرابعة: عائلة العتامنة في مركز قوص بمحافظة قنا ، تتواجد عائلة «العتامنة» ، وهي الفرع الرئيسي لـ «آل عتمان» ، في حين تنحدر أصولها من إحدى القبائل المغربية التي ينسب إليهم عرب «السماعنة» ، والذين يقطنون شمال سيناء ، كما لها فروع كذلك في مركز إسنا ، وفي أسيوط وكوم أمبو ودشنا والشرقية ، ويصل تعدادها إلى 30 ألف نسمة. وعلى الجانب الآخر انتمى عتمان محمد عتمان إلى الاتحاد الاشتراكي على مستوى مركز قوص. * العائلة الخامسة: عائلة أبو ستين في محافظة سوهاج بمركز البلينا ، تتواجد عائلة «أبوستين» ، التي ينتسب إليها حيدر باشا أبو ستيت الذي نُفي إلى السودان لموقفه من الاستعمار البريطاني ، بسبب تأييده لحزب الوفد. * العائلة الخامسة: عائلة عبد النور. وبالتوجه إلى جرجا ، تتواجد عائلة «عبدالنور» ، التي ينتسب إليها الوزير السابق منير فخري عبدالنور. * العائلة السادسة: عائلة الشريف. في سوهاج أيضًا ، بالتحديد في مركز أخميم ، تتواجد عائلة «الشريف» التي ينتسب إليها نقيب

أشراف مصر السيد محمود الشريف. * العائلة السابعة: عائلة عاشور أما في مركز ساقلتة بسوهاج ، توجد عائلة «عاشور» ، التي انحدر منها سامح عاشور ، نقيب المحامين. * العائلة الثامنة: عائلة عامر في قرية أسطال بمحافظة المنيا ، تتواجد عائلة «عامر» ، وحسب المنشور طُبق على العمدة ، الذي ينتمي إليها ، قانون الإصلاح الزراعي ، وينتمي إليها كذلك الراحل مصطفى عامر صاحب المقعد الدائم في مجلس الأمة ، وحسن عامر ، رئيس الزمالك الراحل ، ونجله طارق عامر ، محافظ البنك المركزي. * العائلة التاسعة: عائلة الرفايعة. تنحدر عائلة الرفايعة من قبيلة العرينات في البحر الأحمر ، وينتسب إليها العديد من الفرسان والشعراء حسب المنشور ، منهم «جياش بن قيس العوربن ، الذي قُتل في معركة اليرموك ، ومنها أيضًا فارس بني عامر ، ومن أشهر نساء القبيلة أم المؤمنين زينب بنت خزيمة العامرية ، وأم المؤمنين ميمونة بنت يزيد العامرية». * العائلة العاشرة: المعازة. في البحر الأحمر أيضًا تتواجد قبيلة «المعازة» ، والتي تتواجد بين الزعفرانة حتى قرية النصر ، ويعيش أفرادها في صحراء القصير والصحراء الشرقية ، في المنطقة الواقعة بين البحر الأحمر ووادي النيل. * العائلة الحادية عشرة: عائلة الزمبيلي. تعيش في مدينة الزينية بمدينة الأقصر ، وتعود أصولها إلى شبه الجزيرة العربية ، ومن أشهر أفرادها العمدة إبراهيم الزمبيلي ، الذي أبعد قريته وعائلته عن الخصومات الثأرية. * العائلة الثانية عشرة: عائلة العماري. ترجع أصولها إلى شبه الجزيرة العربية ، ويعيش أفرادها في الكرنك بمدينة الأقصر ، وحسب المنشور كان «العماري» يرافق عبدالرحيم القنائي ، حتى استقر هو في الأقصر ، في حين أقام الأخير في قنا. من أبرز أفرادها الطاهر خليل العماري ، عضو بمجلس النواب عن حزب الوفد، والدكتور محمد أبو المجد خليل العماري ، عضو مجلس الشعب في عام 2005م. * العائلة الثالثة عشرة: عائلة الذخيرة. في الوادي الجديد ، تتواجد عائلة «الذخيرة» ، التي تعود جذورها إلى المغرب العربي في الساقية الحمراء ، ومنها اتجهت إلى صحراء ليبيا ، ثم إلى الواحات بالوادي الجديد حسب المنشور. وحسب التقرير: «استقر ذخيرة الأول في البلاط الإسلامي وأصبح شيخًا من مشايخ المنطقة ، يقطن أحد أبناء العائلة في منطقة بعيدة عن البلاط ذات طبيعة صحراوية ، فاستخراج المياه من الآبار ، ومع مرور الزمن تجمعت الناس حوله واستقر هناك ، وعمل بالزراعة وتحول المكان إلى قرية ذات شأن إداري ، وكبيرها الآن الحاج عبد الوهاب ذخيرة ، وهو نائب أول لمركز ومدينة بلاط». * العائلة الرابعة عشرة: الدابودية. الدابودية هي من أشهر العائلات في محافظة أسوان ، وسُميت بذلك لإقامة أفرادها في قرية دابود. * العائلة الخامسة عشرة: عائلة وهبة. تعيش في مدينة أوسيم ، وتمتلك ربع مساحة الأراضي الزراعية ، وتقطن على وجه التحديد في منطقة المطحن ، ويصل عدد أفرعها إلى 21 فرعًا. * العائلة السادسة عشرة: عائلة الزمر هي أشهر عائلات جنوب الجيزة الموجودة في مركزي ناهيا والبدرشين).هـ. والصعيد ظل يحافظ على التقاليد الطيبة والعادات الأصيلة والأعراف العظيمة إلى اليوم! وتحت عنوان: (نساء الصعيد: التقاليد "مقدسة تقترب من قداسة الدين" تقول الكاتبة والصحافية المصرية منى علاّم ما نصه: (يفرض مجتمع القرية على نسائه العديد من القيود والمحاذير من خلال العادات والتقاليد السائدة هنا ، تلك التي لا يسمح لهن بالخروج عليها ، فهي "مقدسة قداسة تقترب من الدين" على حد تعبير إحدى الفتيات في قريتي. يطال ذلك خيارات التعليم والعمل والزواج والأنشطة التي يمكن أن يمارسنها أو الأدوار التي يمكن أن يقمن بها ، وغير ذلك من تفاصيل تقابلها المرأة في حياتها اليومية. قد تختلف درجة التقييد أو

الحرية المتاحة للمرأة من أسرة لأخرى لكن الجميع يخضع في النهاية لثقافة تميّز الذكر ، منذ الميلاد ، وتضغط على الأنثى وتفرض عليها إطاراً يجب أن لا تتجاوزه. وتزداد وطأة هذه الضغوط على غير المتعلمات وغير العاملات ، فالوظيفة تتيح للمرأة الاستقلال المادي وتعطي لها الحق في الخروج من المنزل بصورة يومية ، ومن ثم يتاح لها ، وإن "جزئياً" ، تجاوز الفكرة السائدة أن "كثرة خروج البنات مستنكَر" ، وهو أمر يعد مكسباً ثميناً هنا في ظل غياب أنشطة يمكن للمرأة أن تشارك فيها ، سواء رياضية أو ثقافية أو ترفيهية أو خيرية. قليل من هذه الأنشطة قد توجد في المدينة ، ولكن بعد المسافة ، ورفض الأهل يصعّب عليهن الذهاب والمشاركة ، لاسيما مع المسؤوليات المنزلية الكثيرة الملقاة على عاتقهن ، ومن ثم ينحصر نشاط الفتيات غير العاملات هنا في تأدية الأعمال المنزلية ومشاهدة التلفاز ، وقد يسمح لهن بالجلوس مع جارة أو زيارة صديقة أو الذهاب. وتنتشر الأمية بين كبيرات السن ، أما الأصغر فيلتحقن بالتعليم مع اختلاف الدرجة التي يصلن إليها فيه ، فهناك الجامعيات والحاصلات على مؤهلات متوسطة أو فوق المتوسطة ، وهناك متسرّبات من التعليم غالباً بعد إتمام المرحلة الإعدادية ، لأسباب اقتصادية أو ثقافية ، خاصة أن المدرسة الثانوية تقع خارج القرية ، فيمكثن في المنزل إلى أن يتزوجن. وتتحمل النساء المتزوجات أو المعيلات هنا قدراً ضخماً من مسؤوليات الأسرة ، خاصة مع سفر كثير من الأزواج والأبناء بحثاً عن عمل. وتبدو مسؤولياتهن المنزلية أكبر من مسؤوليات نظيراتهن في المدينة ، فهي تشمل أيضاً إعداد الخبز الشَّمسي أو "الخَبِيز" (مع وجود أفران تبيع الخبز "المصري") ورعاية البهائم إن وجدت ، وإن اقتضى الأمر إحضار طعامها من الحقول في غياب الأزواج والأبناء بل وحتى مع وجودهم!

ثم تقوم منى علام بجولة ميدانية فتضيف: على دكة خشبية جلست "سارة" ساعةَ مغرب ، تريني رسومها على صفحات كراسة رسم. لم تكن كراستها المدرسية ، فقد تركت سارة المدرسة منذ عامين بعد أن أتمت المرحلة الإعدادية ، بل هي أُحضِرَتْ في الأصل لأختها الصغرى فأعجبتها وأخذتها لنفسها كي تخط على صفحاتها رسومها. كانت تلك الفراشة زاهية الألوان المطبوعة على غلاف الكراسة أول ما أعادت سارة رسمه على الصفحة الأولى ، وعلى الصفحات التالية تتابعت رسومها لشخصيات كرتونية تشاهدها في التلفاز أو لصور تضمها الكتب المدرسية الخاصة بإخوتها الصغار ، أو غير ذلك مما يستهويها ويدفعها لأن تمسك بالقلم لتعيد رسمه من مخيلتها أو من صورة أمامها. تخبرني ، وهي جالسة مرتدية عباءة وردية اللون ، وممسكة بكراستها بيدين مطليتي الأظافر ، أنها كانت تود لو أكملت تعليمها والتحقت بالثانوي الصناعي قسم الزخرفة ، فهو الأنسب لهوايتها التي لم تبدأ في ممارستها إلا بعد مغادرة المدرسة ، ولكنّ أباها قرر أن هذا القدر من التعليم يكفي ، ونفذت هي القرار بهدوء ، إذ لا يبدو عليها حزن أو حسرة. "الكثيرات من زميلاتي في المدرسة لم يكملن تعليمهن مثلي لأن آباءهن أو خطّابهن لم يسمحوا لهن بذلك". تَقَدَّم لسارة ، التي تستيقظ يومياً في السادسة صباحاً لتؤدي الأعمال المنزلية الملقاة على عاتقها تقدّم لها أكثر من خاطب ، منهم هذا الذي كان يريد الزواج خلال شهرين فقط ، وكان يبحث عن عروس يتراوح عمرها بين 16 و20 عاماً ، أما سنه هو فمسألة لا تهم كثيراً. بل لأن القدرات المادية للأسرة وقتها لم تكن لتتحمل تكلفة زواج جديد بعد زواج أختها الكبرى مباشرة. وحدها "كراسة الرسم" تمثل فعل المقاومة الوحيد الذي تقوم به سارة ، دون وعي منها ، وبالتأكيد بصورة مؤقتة. وتحت ضوء مصباح خافت ، فقد جنّ علينا الليل ونحن جلوس ، تسترسل الأم في الحديث عن تفاصيل زواج ابنتها

الكبرى ، وتشاركها سارة في رواية ما فعله أهل الزوج ، وقريباته خصوصاً ، أثناء التجهيز ، وما اشترته أختها العروس من أثاث وملابس. حديث لا يناسب ملامحها الطفولية. أما عن العريس المنتظر لها فتقول على استحياء إنها تريده "محترم ومن عائلة طيبة" ، وبينما الأم لا تهمها مسألة سِنه ، فإن الابنة تجادلها في ألا يزيد عمره عن 31 عاماً. يستمر الحديث إلى أن يقطعه صوت الوالد آتياً من منزل مجاور ، ينادي على "سارة" لتجهز له طعام العشاء ، كما هي العادة اليومية ، فتغادرنا على الفور مسرعة ، وتلحقها بعد فترة وجيزة أختها الصغرى. وأما زكيّة فهي امرأة سبعينية تراها دوماً بجلبابها الأسود وطرحتها ذات اللون نفسه. بعد وفاة زوجها منذ سنوات صارت تتولى زراعة الأرض التي تمتلكها الأسرة ، فعاودت نشاطاً قديماً كانت تمارسه قبل الزواج. تقوم بنفسها - بالرغم من السن والجسد النحيل - بالعديد من أعمال الزرع والحصاد للمحاصيل التي تزرعها من قصب وقمح وذرة وبرسيم ، وتؤجر أناساً للقيام بأعمال أخرى أكثر صعوبة. تذهب في الصباح الباكر إلى الحقل لإحضار ما يأكله بهائمها وتعود قبل الظهر ، وهو ما يعرف هنا بـ"الحشيش الأخضر". "كثيرات يذهبن إلى الحشيش معظمهن كبيرات السن ، وهناك فتيات أيضاً لكن من بنات العرب" أي من القبيلة الأخرى ، فالبعد القبلي هنا حاضر باستمرار. تتسم زكية بحسّ فكاهي ، فقد أضحكتنا عندما سألتها عن أحوال هؤلاء النسوة ومشاكلهن فأجابتني "مشاكلهم؟! شاربين المَرار في الحشيش". بالنسبة لنا كنساء لا يوجد أي مكان يتيح لنا ممارسة أي نشاط ، لا أستطيع مثلاً أن أصطحب صديقتي للخروج إلى أحد أندية المدينة ، سترفض أسرتي خوفاً من كلام الناس. تتولى زكية أيضاً البيع في محل للأسرة يحتلّ إحدى حجرات منزلها. وعلى الرغم من كونها أميّة فإنها تسجل بالقلم في دفتر خاص علامات بسيطة عبارة عن خطوط طولية ودوائر صغيرة تحسب بها إنتاج أرضها وما أنفقت عليها من مصروفات. وبحفاوة بالغة ، وكرم الناس هنا مما يُحْكَى عنه ، استقبلتنا "إيمان" وشقيقتها في منزلهما. فتاتان في أواخر العشرينيات حاصلتان على مؤهل جامعي. أشعرتني ابتسامتهما بالألفة وجعلت الحديث بيننا يمضي بأريحية بالرغم من أنه لقاؤنا الأول. ولكنّ ابتسامة "إيمان" تختفي ما إن يمس الحديث قصتها ، ويعكس وجهها على الفور شعوراً بالمرارة والحزن. تجسد قصة "إيمان" شكلاً آخر من أشكال القهر الذي تتعرض له النساء هنا تحديداً أولئك المنتميات إلى قبيلة "الهَوَّارَة" التي تبدو تقاليدها أكثر صرامة وتحكّما ، وتمتد عائلاتها عبر محافظات مختلفة في الصعيد ، وهم يمثلون نسبة معتبرة من سكان القرية ، إذ ترفض هذه العائلات تزويج بناتها من خارج القبيلة ، بل الأكثر من ذلك ، أن فرع "الهمّاميّة" أحد أفرع هذه القبيلة ، وهو الفرع السائد هنا ، يفرض على البنت أن تتزوج من الفرع نفسه ، أي لا بد أن يكون الخاطب "هوّاريّا همّاميا" كي يوافَق على طلبه. أما إيمان فقد تقدم لها شاب رأت فيه الشخص المناسب والكفء لها من الناحيتين التعليمية والوظيفية ، ولكنه من فرع آخر بالرغم من انتمائه للقبيلة نفسها ، وافق الأخ ولكن الأعمام ، الذين يمثلون رؤوس العائلة ، رفضوا رفضاً تاماً. إن كنتِ إذاً مثل "إيمان" ، فتاة هوَّاريَّة همَّاميَّة ، فأنت وحظك ، إما أن تظفري بزوج مناسب من بين من يتوفر فيهم هذا الشرط الذي يسبق أي شرط آخر ، وإما أن ترضي بـ "المتاح" من أبناء فرع قبيلتك السامي ، حتى إن كان أقل في المستوى التعليمي أو المهني ، أو تبقين هكذا بدون زواج. بينما الرجل يمكنه أن يتزوج من يشاء ، وإن كانت الأغلبية تفضَّل الزواج بالطريقة نفسها. فالسائد الالتزام بهذا التقليد القَبَلي حتى من جانب الشباب الحاصلين على مؤهلات عليا الذين درسوا خارج القرية وزاروا مدناً أخرى ، بل لعلهم

أول من يتعصبون له. الغريب أن بعض الفتيات يرفضن الزواج من خارج قبيلتهن ، بل إن إحداهن أخبرتني أنها رفضت أحدهم لأن أمه أو جدته ليست من قبيلة "الهوارة" وهو ما اعتبرته شيئاً يشينه. "الزواج عندنا تقليدي ، ففي الغالب يتم عبر المعارف والعائلات. مجتمعنا منغلق لا يتيح لك أن تتعرفي على أحد أو أن يعرف كل طرف شخصية وأفكار الطرف الآخر قبل الارتباط. والمعيار الأساسي في أي زواج مدى جهوزية العريس مادياً بغض النظر عن طباعه أو سلوكه". فبالرغم شعورها بالظلم فإن "إيمان" ما تزال متمسكة بالأمل ، تساندها نزعتها الإيمانية التي تلمسها من حديثها. وأما "عبير" فتاة في الثلاثين من عمرها ، تعمل بالتدريس ، تقول: بالنسبة لنا كنساء لا يوجد أي مكان يتيح لنا ممارسة أي نشاط ، لا أستطيع مثلاً أن أصطحب صديقتي للخروج إلى أحد أندية المدينة ، سترفض أسرتي خوفاً من كلام الناس. كل ما يمكنني ممارسته من نشاط بخلاف العمل ، وبعض الواجبات البيتية بطبيعة الحال ، تصفح الكتب على الإنترنت ، وأحياناً أطلب من أخي الذي يدرس في "قنا" أن يشتري لي بعض الكتب من هناك وأتبادلها مع صديقات هنا. ترى "عبير" التي لم تستطع خلال مسارها المدرسي الالتحاق بالتخصصات التي تتمناها لعدم توافرها إلا في المدينة البعيدة ، أن الأجيال الجديدة من البنات هنا تختلف عن جيلها: "الآن أصبح كل تفكيرهن في الزواج منذ المرحلة الإعدادية". تضيف: "الزواج عندنا تقليدي ، ففي الغالب يتم عبر المعارف والعائلات. مجتمعنا منغلق لا يتيح لك أن تتعرفي على أحد أو أن يعرف كل طرف شخصية وأفكار الطرف الآخر قبل الارتباط. والمعيار الأساسي في أي زواج مدى جهوزية العريس مادياً ، بغض النظر عن طباعه أو سلوكه حتى إن كان يتعاطى نوعاً من المخدرات. ما يهمني أن يكون الشخص ملتزماً أخلاقياً. معظم الشباب هنا مسافرون ، وأنا لا أريد أن أكرر تجربة أمي في الزواج من رجل دائم السفر والابتعاد عن أسرته مثل أبي ، كانت أمي تتحمل المسؤولية كاملة ، ولا أذكر على الإطلاق أنه حدثني ذات مرة في أي موضوع". تبحث "عبير" حالياً عن فرصة للسفر في إعارة إلى إحدى الدول العربية "سبقتني فتاتان من القرية هنا سافرتا منذ فترة للعمل ، لم يكن المال دافعهما فمستواهما المادي مرتفع ، بل كتجربة جديدة تتيح الخروج من هذا المجتمع الضاغط الذي ما يزال يجلدهما بالانتقاد والأقاويل ، حتى من قبل المتعلمات ، لسفرهما بمفردهما". ليست "عبير" متأكدة من موقف أهلها إزاء السفر، فزميلتها جاءتها فرصة للإعارة ولكن أخويها (أحدهما مهندس والآخر محاسب) رفضا لأنها غير متزوجة ، ولكنها تؤكد أنها سوف تصرّ على السفر إن وجدت الفرصة المناسبة "لم أعد أتحمل المزيد من الضغوط التي يمارسها عليّ هذا المجتمع". وهناك أخريات يتحدين الواقع الصعب والتقاليد الخانقة ، يعملن لتطوير أنفسهن وتحقيق ما يطمحن إليه ، بدعم من أسرهن في الغالب أو على الأقل من أحد أفرادها. وهذي هند ، امرأة ثلاثينية تعمل موظفة حكومية ، وعلى وشك مناقشة رسالة الماجستير. قليلات هنا من يستكملن دراساتهن العليا ، فأقرب جامعة ، وهي جامعة قنا ، تبعد على الأقل مسافة ساعة ونصف ذهاباً ومثلها إياباً ، كانت هند تقطعها ثلاث مرّات أسبوعيّاً في رحلة تبدأ غالباً بعد ساعات العمل ، فتكون العودة في المساء ، ومن ثم تكثر أسئلة المحيطين "يسألون لماذا أكمل دراستي بالرغم من كوني موظفة؟ أنا أريد العلم لذاته ، أنا لا أستفيد ماديّاً من أبحاثي بل على العكس تكلّفني الكثير ، وأتمنى أن أكمل الدكتوراه بعد الماجستير". تحرص هند أيضاً على حضور بعض الدورات في نجع حمادي وقنا ، أو عبر الإنترنت ، ولا تتوانى عن السفر إلى القاهرة أو الإسكندرية للاطلاع على رسالة جامعية في تخصصها. مرت بتجربة زواج لم تستمر

كثيراً من أحد الأقارب. المطلقة في مجتمع كهذا تتعرض لمزيد من الضغوط والتضييق وتكون دائماً "تحت النظر" ، مثل الأرملة التي خاصة إن كان لديها أطفال ، تتشح بالسواد حتى تلحق بزوجها. ولكنّ هند ، التي ترى أن أكثر ما يؤرّق المرأة الصعيدية تدخّل الناس في حياتها ، لم تستسلم للخوف من كلام الناس لأن ذلك سيجعلها عاجزة عن تحقيق ما تطمح إليه. كان زوجها السابق رافضاً لرغبتها في استكمال دراستها العليا ، وكان هذا أحد أوجه الخلاف بينهما ، ولعله ما جعلها متحفظة من تكرار التجربة "لا أريد أن يوقف أحد أحلامي مرة أخرى". تؤكد هند أن أهم شيء للمرأة دراستها وعملها ، وأن المرأة العاملة أكثر قدرة على تنظيم بيتها وإدارته. وتقول إن استقلالها المادي هو الذي ساعدها ، إلى جانب دعم أسرتها ، فهي على الأقل لم تمنعها من فعل ما تريد ، كما أنها قد تربّت وأخواتها على الاعتماد على الذات ، فالأب متوف والأخ الأكبر ظل لفترات طويلة غائباً إما للدراسة أو للعمل. "كنت أريد أن يصبح لحياتي معنى بعيداً عن دوامة الأعمال المنزلية التي أقوم بها ليل نهار ، أن أعيش لهدف ، وأطور نفسي للأفضل". أما نجلاء ، وهي في العشرينيات من عمرها ، فتقول: "أكثر ما أفتقده هنا الحرية الشخصية ، في كل شيء ، في الدخول والخروج ، في اختيار شريك الحياة. يؤمن الناس هنا أن الفتاة ليس من حقها أن ترد خاطباً ما دام جاهزاً مادياً ، وإن فعلت تصبح مادة للحديث خاصة إن تجاوزت سناً معينة. ولا يمكن أن يتفهموا رغبة الفتاة في أن تتوافر مواصفات معينة في شريك حياتها. لم يجبرني والدي على القبول ، ولكنه بدأ يسيء معاملتي أكثر بعد أن رفضت أكثر من خاطب لم أجد بينهم الشخص المناسب". تضيف نجلاء ، التي تعرضت للعنف البدني مرّات من قبل أبيها وأخيها الأكبر ، إن قراءة الكتب في مجال علم النفس وكيفية التعامل بين الناس وتفاهم المقبلين على الزواج ، التي ما كان لها أن تحصل عليها من مصدر آخر هنا. ولكن هذا جعلها أيضاً تشعر بالاغتراب عن مجتمعها لعدم قدرتها على تطبيق ما تتعلمه في هذا المجتمع الذي تصفه بالمتخلّف. ولذلك تشعر في بعض الأحيان بتفضيل الجهل على العلم. ونجلاء حاصلة على مؤهل متوسط ، ولكنها التحقت منذ فترة بالجامعة المفتوحة للحصول على مؤهل جامعي "كنت أريد أن يصبح لحياتي معنى بعيداً عن دوامة الأعمال المنزلية التي أقوم بها ليل نهار ، أن أعيش لهدف ، وأطور نفسي للأفضل". وإذا كانت الأم تمارس في بعض الأحيان دوراً سلبياً وتتحول إلى أداة لقهر بناتها ، فإن هناك أمهات يدعمن بناتهن. فعلى الرغم من أن والد نجلاء مقتدر مادياً فإنها تعتمد على أمها في توفير مصروفات الدراسة المرتفعة: "لم أخبر والدي بالكثير من التفاصيل عن كليتي خشية أن يرفض الأمر ، ولو علم مقدار المصروفات سيمنعني من الذهاب ، لذلك أنا أعتمد على أمي ، هي لا تعمل ، ولكنها تبيع مما تمتلكه من خِراف ، وفي أحد الفصول الدراسية اضطرت لبيع قرطها الذهبي لتوفير المصروفات اللازمة". يجعلها ذلك تشعر بضغط عصبي كبير أثناء الامتحانات مخافة ألا تتمكن من النجاح. تتمنى نجلاء أن تكمل تعليمها وتحصل على الشهادة الجامعية ، وأن تجد وظيفة حكومية توفر لها دخلاً تستطيع أن تنفق منه على تعليمها، ولكنها ترى ذلك صعباً بسبب انتشار الوساطة ، فقد تقدمت الى أكثر من وظيفة حكومية دون جدوى ، كما أن أهلها ، ككثير من العائلات هنا ، يرفضون عمل بناتهم في القطاع الخاص ، في أحد المحال أو الصيدليات مثلاً ، إذ يرون في ذلك انتقاصاً. تجمّع في واقع هؤلاء النسوة مآل عقود طويلة ظُلِمَ خلالها الصعيد وأهمل بدرجة مضاعفة ، من تخلف ثقافي واجتماعي وتعليمي وخدمي ، ومن انتشار للبطالة وغياب للقانون وللتنمية الحقيقية. على رؤوسهن وقع النصيب الأكبر من كل ذلك ، يواجهنه

وحيدات دون أن تُمَدّ لهن يد ، فلا الدولة قائمة بواجبها ولا المجتمع المدني له هنا وجود. كثيرات يبتلعهن المجتمع في دوامته دون أن يعين ، وأخريات يخترن الاستسلام لواقع يعجزن عن تغييره ، وهناك من يبحثن عن فرصة للهرب ، وهناك من تأكلهن الأمراض النفسية والعصبية جرّاء الضغوط ، ولا تزال هناك من يرفضن الانسحاق ويتحدين ظروفهن الصعبة ، على قدر إمكانهن ، آملات في مستقبل أفضل ، جميعهن له مستحقات. على جانبي طريق أسفلتي يربط بين القرى والمناطق ، تسير فوقه العربات وتصطفّ عليه بيوت ومحالّ ، يطلق عليه هنا "الجسر" ، تمتد وتتفرع منه بصورة عشوائية طرق ترابية غير مستوية ، تتفاوت ضيقاً واتساعاً ، تضم البيوت والحقول. تغيّر بيت جدي تماماً إذ أعيد بناؤه بالخرسانة المسلحة التي صارت السمة الغالبة على البيوت هنا ، وهي تتكون من طابقين في الغالب ، وأحيانا ثلاثة ، إذ يسود نظام الأسرة الممتدة. بدا البيت الجديد غريبا عليّ ولم أستطع الانفعال به. أفتقد البيت القديم الذي كان مبنيا بالطوب اللبن ، لم يبق من آثاره إلا القليل: الفرن الطيني الذي بات يزاحمه "فرن الأنبوبة" ، وهو فرن معدني كبير موصّل بأسطوانة غاز ، والحظيرة التي باتت خاوية إلّا من بعض طيور. بيعت البهائم بعد سفر الأنجال إلى الخليج إذ لم يعد هناك من يرعاها. وقد صار الفرن والحظيرة يحتلان فناءً خلفيا بعد أن كانا جزءاً طبيعياً من البيت. أفتقد الردهة الواسعة والحجرات والأثاث البسيط ، والباب الخشبي الكبير ذو المِزْلاج ، وعتبته الرخامية العريضة التي كانت لجدتي مجلساً ، ولنا في جلساتنا الليلية ، وكافة تفاصيله التي تحمل الذكريات. الأواني الفخارية الكبيرة (الزير والعِلاوة) التي كان ماؤها قادراً على إروائك كما لا يقدر أي ماء آخر ، حلّت محلها أوان بلاستيكية مخصصة لحفظ الماء بارداً. وصلَت المياه إلى معظم البيوت ولم تعد هناك. التركيبة السكانية هنا تتكون من عائلات قبيلتي الهوّارة والعرب ، وعدد من الأسر النصرانية. الاعتبارات القبلية والعائلية هي التي تحكم مجتمع القرية. فكل العائلات تعرف بعضها البعض إن لم تكن تربطها درجة ما من القرابة. كان يمكن لمهمة صحافية مستعصية أن تُسهَّل بمجرد أن أخبر من أحدّثه أنني من عائلة فلان أو "من بيت فلان" بالتعبير السائد هنا. ولكن مثّل هذا ضغط من نوع آخر ، فما يعدّ بالنسبة لي عملاً عادياً من مقتضيات العمل الصحافي ، قد يكون هنا سلوكاً غير معتاد ، يثير انتقاداً وامتعاضاً واسعين ، خاصة أن الأخبار في القرية تنتقل بسرعة ويحيط بها القاصي والداني خلال مدة قصيرة! قصب السكر هو المحصول الأساسي هنا (وفي محافظة قنا بوجه عام) ولكنّ المزارعين يشكون من أن شركة السكر (وهي تابعة لوزارة التموين) تشتري منهم المحصول بثمن بخس لا يتناسب مع ما بذلوه من مجهود وما تحمّلوه من مصاريف. فمع قلة حصة السماد المدعّم وعدم كفايتها يضطرون لشراء السماد الحرّ بتكلفة أعلى ، إلى جانب مصاريف الريّ والوقود اللازمين لتشغيل الآلات، وأجرة العمال الزراعيين ، وأجرة الجِمال المستخدمة في النقل. حتى مصاريف نقل القصب على عربات خاصة ، صار المزارع هو من يتحملها بعد أن كانت الشركة هي التي تتحملها. والمقابل الذي تعطيه للمزارع ليس فقط قليلاً بل أيضا لا يُدفع مرة واحدة وإنما على دفعات تستغرق وقتاً طويلاً مما يعطّل المزارع عن شراء ما تحتاج إليه الأرض من سماد في الدورة الزراعية الجديدة. التركيبة السكانية هنا تتكون من عائلات قبيلتي الهوّارة والعرب ، وعدد من الأسر النصرانية. الاعتبارات القبلية والعائلية هي التي تحكم مجتمع القرية. فكل العائلات تعرف بعضها البعض إن لم تكن تربطها درجة ما من القرابة. وفي ظل واقع الزراعة هذا وغياب مشروعات تستوعب طاقات الشباب هنا ، وغلق باب التوظيف منذ

سنوات في المصانع والشركات الموجودة ، كمصنع السكر ، أو مصنع الألومنيوم (الذي يعدّ من معالم نجع حمادي) ، فإن نسبة كبيرة منهم ، بمختلف مستوياتهم التعليمية ، تتجه للسفر للعمل بإحدى دول الخليج وعلى رأسها السعودية ، كي يستطيع الشاب الاستعداد للزواج من بناء بيت وتجهيزه وشراء مصوغات ذهبية تكون ، وفقا للتقاليد هنا، بقيمة مرتفعة. أو السفر إلى إحدى المدن الكبرى أو السياحية القريبة للعمل. مما تغير أيضاً هنا أزياء الفتيات. صرن لا يختلفن في مظهرهن عن فتيات المدينة ، مع غطاء الرأس ودرجة من الاحتشام تفرضها التقاليد ، وهذا لا يمنع وجود استثناءات. أذكر أنّه في الماضي كانت إحدى الفتيات هنا حديث الناس لأنها كانت تتجرّأ وترتدي البنطال! فُتِح عدد من محالّ الملابس النسائية في القرية بعدما كان وجودها مقتصراً على المدينة. وهناك أيضا امرأة من خارج القرية معروفة هنا ، يقال لها "الحَلَبِيّة"، تأتي أسبوعياً ، تفترش الأرض ببضائعها وتلتف حولها النسوة يتفرجن على ما تعرضه من ملابس بيتية. زيّ الكبيرات في السن كذلك أصابه التغيير، لم يعد لـ "البِرْدَة" إلا وجود نادر ، وهي ملاءة سوداء من قماش ثقيل كن يلتحفن بها في مشاويرهن البعيدة ، حتى وإن كانت في ظهيرة أشد أيام الصيف حرّاً. وفي ظل غياب مشروعات تستوعب طاقات الشباب هنا ، وغلق باب التوظيف منذ سنوات في المصانع والشركات الموجودة ، كمصنع السكر ، أو مصنع الألومنيوم الذي يعدّ من معالم نجع حمادي ، فإن نسبة كبيرة منهم ، بمختلف مستوياتهم التعليمية ، تتجه للسفر للعمل بإحدى دول الخليج وعلى رأسها السعودية. وفي ليلة الحنّة هناك من يستقدم من يعرف هنا بـ "الشاعر" الذي يغني على الربابة أمام جمهور من الرجال، أما النساء فلا يسمح لهن بحضوره بل يجلسن في مكان بعيد. في الأفراح تبذل النساء مجهوداً ضخماً لإعداد كميات هائلة من الأطعمة والمخبوزات ليأكل الرجال أولاً ، حيث يتم إطعام المدعوين اللحوم والأرز والمحاشي إلى جانب مخبوزات الفرح كالكعك والبسكويت ، والمشروبات الغازية. وتأتي النسوة ، خصوصا من الأقارب والجيران ، إلى بيت أصحاب الفرح للمساعدة في إعداد هذه المأكولات. لا توجد أماكن للترفيه هنا للكبار أو الصغار الذين يتخذون من طرقات القرية مكانا للعب واللهو ، إلى جانب الألعاب الإلكترونية على أجهزة الحاسب والهواتف لمن تتوفر له. يخبرني أحد الشباب هنا بأنه كان هناك مركز شباب به نشاط كرة قدم وتنس ، عمل لفترة ثم توقف بسبب إهمال القائمين عليه ، وتحولت ساحته إلى مكان لإقامة الأفراح مع بقاء موظفيه! لا مكان لممارسة الرياضة هنا إذاً سوى ملاعب خاصة لكرة القدم يرتادها بعض الشباب (الذكور) نظير مبلغ مالي يتراوح بين 50 و70 جنيهاً لكل ساعة. لا تصل المطبوعات إلى هنا. فلا جرائد ولا مجلات ، وبالطبع لا كتب. والقطار يصاحب مجرى النيل لإحدى عشرة ساعة ، ويمر بمحطات عديدة وبالأراضي الزراعية التي يكدّ فيها رجالٌ ونساءٌ طول اليوم. هنا استعادة لذكريات الطفولة ورسم لملامح الريفيين ، وعلى رأسهم الجدة الرشيقة العاملة بلا كلل ، والمشرفة بصرامة على نظام الحياة. بعد انقطاعٍ دام 15 عاماً أو يزيد ، أعود لزيارة قرية الأجداد ، "الشَّاورِيّة"، إحدى قرى مركز "نجع حمادي" بمحافظة قِنا. المناسبة: حضور حفل زفاف أحد الأقارب ، وهي أيضا فرصة لرؤية أناس تجمعني بهم قرابة وذكريات ، أو لي بهم سابق معرفة. وهذه السّنوات الطويلة قد تركت آثارها على الوجوه والأجساد والشخصيات ربّما ، وعلى المباني والبيوت ، وجوانب أخرى كثيرة تستعصي على الحصر. يبدو الأمر مثيراً للاهتمام وللمشاعر أيضاً. فالصعيد نزوره صغاراً في الإجازات الصيفية ، وكانت زيارته مصدر فرح ، فهي تعني اللّعب واللهو والانطلاق في طرقاته الترابية الآمنة من

مرور السيارات إلّا فيما ندر ، وفي الحقول ، حقول الشمّام والبطّيخ والقصب الذي كنا نستمتع بمصّ أعواده وتزعجنا أوراقه الحادة التي تؤذي وجوهنا ونحن نسير. نشارك بنات وأولاد في مثل أعمارنا في اللعب بالطين ، أو في لعبة السبع طوبات ، أو في ألعابٍ أخرى اخترعت هناك وجرى توارثها ، تعتمد على موادّ من البيئة المحيطة كالحصى ، أو البوص (وهو نبات من نباتات المستنقعات المعمَّرة من الفصيلة النجيليّة على هَيئة القَصَب والغاب) ، الذي كنا نصنع منه عرائس ، أو الأغطية المعدنية لزجاجات المياه الغازية المستعملة. تحت "النخيل" نبحث عن البلح الطازج أو ننتظر أصحاب المهارة في التصويب ليقذفوه بالطوب ثم نتسابق على البلح المتساقط على الأرض ، أصفر أو أحمر أو أخضر لم يطب بعد. بائع "شَعْر البنات" الذي كنا ننتظره بلهفة عصر كلّ أربعاء (ما زلت أذكر اليوم جيداً) ، يقف في مكانه المعتاد ونذهب فرحين لنشتري منه حلواه المميزة التي تختلف عن تلك التي كنا نبتاعها من الدُّكّان ، ودكاكين القرية ملحقة ببيوت أصحابها ، وأحيانا يجري الشراء من البيت مباشرة. حظيرة البهائم أو "الحُوش" كما تسمى هناك ، وما تحويه من جاموس أو بقر ، وأغنام تُؤخذ للرعي في الحقول ، وحَمير كنا نسعد بركوبها الذي لا يكون ـ مثل اللعب ـ مسموحاً للبنات بعد سن معينة. وطيور متنوعة: حمام ، وأوز ، وبطّ يسمّى هناك "بُحّ" ، وجمل وحيد في منطقتنا كان يخصص له أصحابه مكاناً يراه منه الذاهب والآتي. لم تكن تلك الهالة التي تُضفي على الآتين من "مصر" أو "الإسكندرية" ، مختلفي المظهر واللهجة ، تمنعنا من الاندماج والمشاركة في كل نشاط ، كملء مستوعبات المياه من صنبور عمومي قريب أو طلمبة (مضخة) أو بِركة بعيدة ، أو الخروج مع البنات في الصباح الباكر في رحلات "الحشيش" إلى الحقول البعيدة ، وبأيدينا غالباً أو بالمِحَشّ نقطع حشائش الأرض ونملأ بها أكياساً متفاوتة الأحجام. كنت أختار أصغرها ، ولم أقدر يوما على ملئها ، فقد كانت المهمة صعبة للغاية ، ولذلك كنت دائما موضع سخرية من الرفيقات الماهرات ، ونسير بها ، ونحن نضعها على رؤوسنا إلى البيت حيث تُقدَّم للبهائم. كانت بالنسبة لنا نزهة ولهواً أكثر من كونها مهمة جديّة كما كانت للرفيقات. ذكريات كثيرة جداً مع أماكن وأشخاص تفرقت بهم سبل الحياة ، أو رحلوا عنها دون وداع. الآن أستطيع أن أستمتع بمشاهدة الحقول والنخيل والشجر والدوابّ. كانت تلك المشاهدة ونحن أطفالاً تزيدنا تحمساً للرحلة ، ولا تزال عندي موضع اهتمام. جدتي أو "سِتّي" كما كنا نناديها ، أو "امرأة الحاج" كما لُقِبَتْ بعد أن أدّى جدي الفريضة منذ زمن بعيد ، كانت الأكبر سنّاً ، في عقدها السابع أو الثامن (فأعمار هذا الجيل تُقدّر ولا تعرَف على وجه الدقة) ، والأكثر نشاطاً بين قاطني البيت الواسع العديدين. كانت تسير في يومها وفق نظام دقيق لا تغيّره. أول من تنام مساء وأول من تستيقظ فجراً ، تُطعم الطيور والبهائم وتُحوّل المياه من الصنبور العمومي لتملأ جميع الأواني الفخارية والمعدنية ، وتعدّ لنا في بعض الصباحات إفطاراً لذيذاً عبارة عن معكرونة أو أرز باللبن والسكر. تغضبها الطيور إن تخطّت حدودها إلى ساحة الدار ويغضبها الصغار إن رأتهم وهي جالسة على العتبة ، كعادتها ، يعبثون بالصنبور فتنهرهم من بعيد بصوت مرتفع. وفي صفوها توزّع عليهم الحلوى التي لم يكن دولابها الخاص يخلو منها ، ولا أعرف من أين كانت تأتي بها. تصر على قضاء حوائجها بنفسها ولا تستهويها أبداً مشاهدة التلفاز ، فقد كانت على ما يبدو متمسكة بعالمها القديم. ترك الزمن انحناءة على الظهر ولكنه لم يسلب المقدرة والإقبال على الحياة. وعلى الرغم من أنّها كانت تغطّي شعرها طوال الوقت ، فقد كانت حريصة على صبغه بالأسود أو بالحنّاء. ملابسها عبارة عن فساتين قاتمة اللون ،

ذات أكمام طويلة ، تضيق عند الخصر ثم تتسع مما يناسب قوامَها الرشيق ، وتُظهر جزءاً من الساقين. كانت ترتدي خَلخالاً فضيّاً عريضاً ، أو ما يسمونه بـ"الحِجْل" ، لا تخلعه حتى عند نومها. في وجهها كان البِشْر ، وعلى لسانها كانت الدعوات. على أيّة حال ، الطفلة أو المراهقة التي كنتُها ، والتي لم يكن يهمّها سوى التنزه واللعب والمزاح مع الأقران ، أو الشجار معهم إن لزم الأمر ، صار همها الآن التأمّل والسؤال. رحلة السفر طويلة جداً ومرهقة. كانت رحلة ليليّة ، لا نوم متصلاً أو عميقاً ، بكاء الأطفال مزعج للغاية ، المرور المتكرر لعامل الـ "بوفيه" وهو يجرّ عربته أمامه عبر عربات القطار: شاي ، نسكافيه ، سندويتشات. وآخرون يصعدون في كل محطة: مشبّك. عيش ، فلافل. أحاول النوم وتفادي صرصار صغير ، ليس الوحيد هنا ، يسير بجانب مقعدي المجاور للنافذة. كيف يكون الحال في قطارات الدرجة الثالثة إذاً؟ ما أجمل وقت الفجر ، وذاك الضوء الخافت الذي يفصل عتمة الليل عن سطوع الشمس في نهار حارّ. الآن أستطيع أن أستمتع بمشاهدة الحقول والنخيل والشجر والدوابّ. كانت تلك المشاهدة ونحن أطفالاً تزيدنا تحمساً للرحلة ، ولا تزال عندي موضع اهتمام. جدتي أو "سِتّي" كما كنا نناديها ، أو "امرأة الحاج" كما لُقِبَتْ بعد أن أدّى جدي الفريضة منذ زمن بعيد ، كانت الأكبر سنّاً ، في عقدها السابع أو الثامن ، فأعمار هذا الجيل تُقدّر ولا تعرَف على وجه الدقة ، والأكثر نشاطاً بين قاطني البيت الواسع العديدين. أما الأراضي الزراعية ممتدة أمام ناظريّ ، بعض رجال يعملون بها ونساء. يصحبنا النيل حيناً وحيناً نفترق. أرقب حركة الناس في الطريق وأتأمل وجوههم على كل محطة: أسيوط، طِما، جِرجا.. في الصباح الباكر لكلّ مقصده ، فرادى أو جماعات: المدرسة أو الجامعة أو الغيط ، وهناك من يذهب للعلاج. كتلك المرأة الستينية التي مقابل مقعدي في القطار مقعدها في محطة أسيوط حيث يكون التوقف لمدة أطول ، ممتلئة القوام دون الوجه الذي بدا جامداً مضطرب العينين ، لا تدري إن كان جموده يعكس شخصية صارمة أم يعكس ضيقاً طارئاً سوف يزول. كانت تحمل أوراقاً يبدو أنها تحاليل طبية ، ومعها أيضاً كيس بلاستيكي شفاف يضم علب الأدوية. لا أعرف لماذا استوقفتني واستأثرت بانتباهي؟ ألوجهها الأسمر الذي ينبئ بملامح صعيدية أصيلة؟ أم لطرحتها السوداء المطرزة بالتركواز والملفوفة بإتقان فوق طرحة أخرى مكوّرة أعلى الجبهة بطريقة تلفت النظر؟ أم لحركات يديها التي تصحب حديثها مع شاب يجلس بجوارها ، مما ذكّرني بحركات نساء الصعيد اللائي كنت أراهن في القرية وهن يثرثرن معاً؟ بعض الوجوه أشعر نحوها بمشاعر ود ورغبة في التواصل ولكنّ زجاج نافذتي المحكم لن يوصل صوتي ، وددت لو التقت عينانا كي ألوّح لها بيدي وأبتسم. "شاي، شاي" ينادي الرجل ذو الجلباب الذي صعد القطار للتو حاملاً برّاداً كبيراً يتبعه طفل بأكواب بلاستيكية. فتيات وسيدات وطفلات صغيرات تصعدن للتسول من الركّاب (ظاهرة لم تكن موجودة). ما زلت أرقب البشر والمنشآت التي تمر سريعاً وتمثل واجهة تُخفي وراءها القرى البعيدة. رجال بالجلباب والعِمامة على حمير ، وهناك من يركب التكتوك ، مقر أحد الأحزاب ، قاعة أفراح ، جمعية السيدات القبطية ، شونة غلال طَهْطَا. من على بُعدٍ يظهر مبنى مدرسة ، وأمامها طفلان ، ليس بزي مدرسي في طريقهما إليها ، بل على عربة خضروات خشبية تمتلئ بالباذنجان. بعد إحدى عشرة ساعة تقريباً استنفدت الليل كلّه وساعات من النهار ، وصلنا إلى محطة "نجع حمادي" ، ومدينة نجع حمادي وقراها تقع في محافظة قِنا على بعد 80 كيلومترا شمال غرب الأقصر. بعد السلام والترحاب ، توجهنا إلى سيارة مخصوصة تنتظرنا لتنقلنا إلى القرية، لا مواصلات نقل عام هنا، سيارات تؤجر بالراكب أو مخصوصة

يمتلكها بعض رجال القرية ويعملون عليها بتوصيل الأهالي عند الطلب ، أو تكتوك للمسافات القصيرة ، ولها أيضا الحمير يركبها الرجال. بعد نصف ساعة وصلنا القرية. مرحباً! هنا عالم آخر).هـ. وأما مصطفى الأسواني الصحفي المعروف فيقول ما نصه: (يرتبط الصعيد في جنوب مصر ارتباطًا وثيقًا بعادة الثأر ، حتى إنها صارت واحدة من علاماته الشهيرة ، وترتبط هذه العادة بمجموعة من الممارسات والسمات المختلفة التي تصنع في مجملها ثقافة الثأر ؛ ومعروف أن العادات تشكل جنسًا أساسيًا من أجناس الثقافة الشعبية ، سواء كانت مأثورًا أو تراثًا ، وهي الأساليب التي يتبعها بعض السكان في معيشتهم. ومن أبرز السمات التي تُشكّل ثقافة الثأر ارتباطها بالمجتمع الذي يقوم على "القبَلية" بقيمها المختلفة ، وأبرزها قيمة "العار" حيث إنّ قتل فرد من القبيلة يعني سُبة في جبين تلك القبيلة تنال من تاريخها ومستقبلها أيضًا ، ومن ثمّ يتحرك رد الفعل في ذلك الفضاء الواسع ، ولا يصبح القصاص من شخص محدد هو الهدف ، بل محو العار ، ورد الاعتبار لتاريخ القبيلة وهيبتها. إن الثأر ببساطة شديدة دافع يُلزم الفرد من عصبية خاصة بالانتقام ، أي الثأر لأحد أقربائه ممن قتله ، ويصور في العادة إحدى مراحل تطور الجماعة عندما تكون القبيلة هي الرابطة الاجتماعية الوحيدة ، وصاحبة السلطان ، نافيًا عن السلطة أو الحكومة أو الدولة أن تنوب عن الفرد في القصاص ، أو أن يخشى الفرد أن تنوب عنه الدولة في نيل شرف القصاص فيلتصق به عار الجُبن وقصر اليد. وفي صعيد مصر ، نجد أن الثأر قيمة وممارسة اجتماعية لها مكوناتها وتقاليدها، إذ إنه مستقر في معظم أرجاء الصعيد ويُعدّ الوجه الآخر لهيبة العائلة وكرامتها داخل مجتمعها ، والعائلة بجميع أفرادها مسؤولة عن الأخذ بالثأر ، لما تحتله من مكانة متقدمة على أي انتماء آخر ، فالعائلة تأتي قبل الفرد وقبل الدولة ، فالأسرة هي المرجع الرئيسي لأفرادها ، وتُعدّ العائلة في الصعيد المرجعية الوحيدة التي تحدد العلاقات مثل الزواج وشراء الأراضي والمساكن ، وغير ذلك. وكثيرون هم من يعتبرون أن الثأر عادة دموية وسلوك بدائي يتقهقر تحت نور التمدن والتحضر ، مستندين في ذلك إلى أن الثقافة والتعليم بما يصاحبه من رقي العقل وتنزهه وسموه عن العنف يحول دون انزلاق الفرد أو العائلة والقبيلة إلى هذا المستنقع الدموي ، إلا أنني أعتبر هؤلاء يعيشون في أكبر وَهْم للإنسان المعاصر ؛ حيث إن كل إمكانات العلم والثقافة ناقضت هذا المفهوم لديهم ، فهناك منظمات ذات تركيب عصري متطور قامت بمجازر ثأرية في قلب أكثر البلدان تعليمًا وتحضرا ، ونفذت مجازرها في المدن على وجه الخصوص ، وليس في البوادي أو القرى فقط ، مستغلة في ذلك كل إنجازات العقل الحديث من سلاح وتخطيط وحصار. ولا يمكن إنكار أن عادة الثأر اتصفت بها كل الشعوب دون استثناء ، وليس أهالي الصعيد فقط ، وفي كل المراحل التاريخية أيضًا. كذلك فإن البُعد الجماعي لعادة الثأر ، وقيامها على قيم مطلقة مثل قيمة العار لا يجعلان من واقعة القتل حدثًا منطقيًا يخضع لحسابات المكسب والخسارة ، ما يُسفر عن ممارسات أخرى يعود إليها استهجان تلك العادة بالدرجة الأولى مثل عدم عقد العزم على قتل القاتل شخصيًا في بعض الأحيان ، بل طلب الثأر من عائلته برمتها ، أو الأفضل فيها بشكل مطلق وهنا تكمن ثقافة القبَيلة ، فواقعة القتل ليست حدثًا فرديًا يمارسه فرد في حق فرد ، القاتل هنا فرد من قبيلة يقع عليها الوزر ، والمقتول كذلك فرد من قبيلة يقع عليها واجب الثأر ، فالعدوان حتى لو كان فرديًا إلا أنه يمثل انتهاكًا لحرمة القبيلة بأسرها ، ولذا فهي تطلب الثأر من قبيلة القاتل ، وإمعانًا في تأكيد المعنى ، قد يختار أهل القتيل رمزًا من رموز القبيلة الأخرى ، ذلك أن النظام الفعلي قَبَلي في جوهره ، فحق

القتيل واجب القبيلة لا الدولة ، وهي لا تسعى كي تسترد حق المقتول فقط ، ولكنها تسترد هيبتها أيضًا ، ومن ثم تتجاوز عادة الثأر فكرة القصاص من القاتل. ويمكننا ملاحظة أن فعل القتل مجرد ذريعة لظهور عداء قائم أصلاً ، ولكنه بحاجة لعود كبريت كي تشتعل النار من جديد ومن هنا يتحول المقتول إلى ذلك العود الذي يفجر الأزمة بين تكوينين بشريين مهيئين ومستعدين للفرصة المواتية لإثبات المكانة التي ترى كل قبيلة أنها جديرة بها. كذلك فإن مرور الوقت لا يعني شيئًا لعادة الثأر ، فحفرة الدم تلك ليست حدثًا عابرًا يمكن نسيانه أو السكوت عنه ، بل تبقى الواقعة حيّة ونضرة باستمرار ، قد يمر الزمن ويطمس الكثير من الأحداث ، غير أنه ينحرف بعيدًا عن حفرة الدم ولا يستطيع أن يلمسها ، ومن ثمّ لا تسقط الواقعة بمضي المدة ، ومعروف أن هناك من يأخذ الثأر بعد مرور سنوات طويلة قد تصل إلى مئة عام! وأول الممارسات الشعبية في بلادي التي تنبئ بعقد العزم على الأخذ بالثأر وعدم ترك حق القتيل تتمثل في عدم إقامة مراسم العزاء أو قبوله حتى ، وهذا يعني قرارًا بأخذ الثأر في يوم من الأيام ، قد يكون في الغد أو بعد عقود ، وعندما يتم أخذ الثأر ، فهناك «التشريفة» حيث يقام سرادق العزاء في ظل أجواء من الفرح تبدأ بعد أخذ الثأر مباشرة ، ويتم التعبير عنها علانية بإطلاق الأعيرة النارية في الهواء. أما إن رضيت العائلة أو القبيلة بالصُلح وعدم الأخذ بالثأر فهناك مراسم تسمى بـ «القُودة» سأتحدث عنها في مقال لاحق. ورسوخ عادة الثأر ينهض على تراث هائل لا يقتصر على التراث المعروف أو المحفوظ في الكتب التاريخية أو الفنون الشعبية ، بل إن تراث الثأر يحمل ما لا حصر له من الحكايات غير المعروفة ، إذ لكل قرية من القرى حكاياتها المرتبطة بالثأر والتي تنبع من أحداث حقيقية هي الأهم في حياة كل قرية ، والأكثر حضورًا في مجالسها ، فالواقعة التي نقرأ عنها خبرًا في عدة أسطر صغيرة ، تشغل مساحة هائلة في حياة الجماعة المحيطة بمكانها ، وهنا يتحول فيها الأفراد إلى مؤرخين ورواة شعبيين لا يتوقفون أبدًا عند تناقل الخبر ، بل ويحيطونه بالكثير من التفاصيل والتصورات والتخمينات والمتابعات لسير أبطال الواقعة من الطرفين ، واستدعاء كل ما له علاقة بالثأر في ذاكرة تلك الجماعة ، وهكذا تتحول الواقعة الجديدة إلى نبع جديد يثري ويجدد ثقافة الثأر ويمد جذورها في أعماق الأجيال الطالعة).هـ. وطبعاً غير خاف أن عادة الثأر تلك مخالفة كل المخالفة للشريعة وللدين وللمنطق وللقيم ، ونسأل الله أن تزول هذه العادة من صعيد مصر إلى الأبد! والصعيد منذ خلقه الله شعبٌ يرفض الضيم والذل! وتتجلى مقاومة أهل الصعيد للمستعمر بشراسة ، فهذي ثورة القاهرة الأولي 1798م تثبت لنا مقاومة وصمود الصعيد / إذ لم تنخدع الجماهير بتظاهر نابليون بالتقوي وتقربه للمسلمين بمنشوراته الهزلية ، ولم ير شعب مصر في حملة الفرنسيس إلا جيش محتل لا يختلف عن الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع التي ضربت شواطئ دمياط منذ أكثر من خمسة قرون. وقد كانوا علي حق في ذلك ، فقد كتب بونابرت في مذاكراته في منفاه في سانت هيلانة أن هذه المنشورات كانت "قطعة من الدخل". وإذا كان بونابرت قد أراد بهذه المنشورات أن يتخفي في ثياب جيش التحرير القادم ليُحرر مصر من فساد المماليك ، فإن التاريخ القديم للحملات الصليبية علي الشرق كان حاضراً في ذهنه يأخذ منه العبر ويتجنب أخطاءه ، فهو يقول: "إن لويس التاسع (قائد الحملة الصليبية السابعة علي مصر) أنفق ثمانية أشهر في الصلاة ، و كان أجدي أن ينفقها في الزحف والقتال واحتلال البلاد". ولكن فات علي المماليك والمصريين أن فرنسيي الحملة الصليبية السابعة ليسوا هم فرنسيي الحملة البونابرتية! فالفرق بينهما تقدم صناعي وإداري وعلمي كبير علي

الجانب الفرنسي يقابله غفلة تاريخية علي الجانب المصري المملوكي. عندما سمع المصريون بهزيمة الفرنسيين أمام أسوار عكا وقدوم أسطول العثمانيين إلي أبي قير ، استجمعوا قوتهم و ثاروا علي المحتل يوم 22 أكتوبر 1798، أي بعد حوالي 4 أشهر من قدوم الاحتلال ، ويمكن تلخيص أسباب خروجهم في الآتي: قتل الفرنسيس للسيد محمد كريم حاكم الاسكندرية لاتهامه بالعمل ضد الوجود الفرنسي في مصر. فرض الفرنسيين ضرائب علي الشعب وتدقيقهم في إحصاء الممتلكات الشخصية. فلقد هدم نابليون أبواب الحارات. وانهزم الفرنسيون في موقعة النيل أمام الاسطول الإنجليزي وسمع المصريون بأن الباب العالي أرسل جيشاً لفتح مصر ، فخرج المصريون بكل ما لديهم من سلاح وشوم وحِراب علي الجنود الفرنسيين يقتلوهم. وتحصنوا بأسوار الحارات وفي الأزقة، ونصبوا المتاريس علي مداخلها. ولكن فاتهم أن يحتلوا الأماكن المرتفعة المطلة علي الحارات. فسارع نابليون باحتلالها ونصب مدافعه فوق مآذن جامع السلطان حسن ، وانهالت القنابل منه ومن القلعة علي جامع الأزهر ، مبعث الثورة ، و كل ما يحيطه من بيوت و حوانيت. واستمر الضرب حتي المساء حتي تدخل اعضاء الديوان الذي شكله نابليون من المشايخ المتعاونين مع الفرنسيين " فركب المشايخ إلي كبير الفرنسيس ليرفع عنهم هذا النازل ، ويمنع عسكره من الرمي المتراسل ويكفهم ما انكف المسلمون عن القتال". فقبل نابليون وقف الضرب، ولكنه أرسل جنوده إلي الأزهر ، فدخلوا الجامع بخيولهم عنوة وربطوها بصحنه وكسروا القناديل وحطموا خزائن الكتب ونهبوا ما وجدوه من متاع. ولم يخرجوا منه إلا بعد أن ركب الشيخ محمد الجوهري إلي نابليون وطلب منه متوسلاً أن يخرج جنوده من الجامع الأزهر. فقبل نابليون. ولكن هذا المشهد البربري هو أعمق مشهد في الحملة الفرنسية طوال فترة وجودها في مصر ، مشهد غاص في أعماق الذاكرة المصرية حتي اليوم وصبغ رؤية المصري للاحتلال الفرنسي والأوروبي بصفة عامة. حكم علي ثلاثة عشر شيخاً من الأزهر بالإعدام ، وأُعدم الكثير ممن قبض عليهم ومعهم سلاح وقدر عددهم بحوالي ثمانين شخصاً من قادة الثورة ، إلي جانب الكثيرين من عامة الشعب. كتب نابليون في مراسلاته لرينييه يقول " في كل ليلة نقطع نحو ثلاثين رأساً أكثرها لزعماء الثورة ، وفي اعتقادي أن هذا سيعلمهم درساً نافعاً". وعي المصريون الدرس وعرفوا أن الاحتلال هو الاحتلال مهما تلون بألوان مبهجة من تقدم علمي أو إداري أو تنظيمي ، فالتقدم إن لم يأت بأيدي وعقول أهل البلد ، فسوف يأتي تفضلاً من السيد المحتل إلي العبيد أو يأتي مشروطاً بخلع عباءة الهوية المصرية. وتلقت أقاليم مصر جيش نابليون المتوغل في الدلتا والصعيد بمقاومة شرسة لا تلين ، اضطر الفرنسيون معها للحرب والقتال من قرية إلي قرية ليخضعوا أقاليم مصر ، واستخدموا القتل و النهب والسلب و التحريق والتنكيل لكسر روح المقاومة ، فنجحوا حيناً و فشلوا أحياناً. ففي المنصورة ، ما إن رحل الجيش الفرنسي عنها بعد أن ترك فيها حامية من 120 جندياً ، حتي بدأ أهالي المنصورة ينصبون الكمائن لجنود الحامية ، فبدأوا بقنص ثلاثة منهم ، ثم حاصروهم في ثكنتهم التي تحصنوا بها ، حتي نفدت ذخيرة الفرنسيين ، فخرجوا من المدينة تحت وابل من الرصاص يأتيهم من كل مكان ويحصد أرواحهم ، وألقي بعضهم بنفسه في النيل هرباً من الطلق. ولو ينج من الحامية المكونة من 120 فارساً إلا جندي واحد فقط أسره الأهالي ثم أطلقوا سراحه ، وهو الجندي مورستون الذي كتب ما حدث في تقريره إلي كولونيل لوجييه ووردت تفاصيله في تأريخ كريستوفر هيرولد لحملة نابليون علي مصر في كتابه "بونابرت في مصر". وساعد أهالي الدلتا علي المقاومة أن كثيراً

من قراهم كانت كالقلاع المنيعة لها أسوار وأبواب ، مثل قريتي غمرين وتتا شمالي منوف اللتين ثارتا علي المستعمر يوم 13 أغسطس 1798م و حملوا السلاح وأغلقوا الأبواب في وجه الجنود ، فحاول قائد الحامية اقتحام القريتين ففشل، فطل المدد من حامية منوف فأرسل له مدداً وبعد قتال دام ساعتين استطاعت الحامية اقتحام القريتين ، واستبسلت قرية غمرين حتي بعد الاقتحام وقاتل الأهالي في الطرقات حتي امتلأت بجثثهم، واستشهد منهم من أربعمائة إلي خمسمائة بينهم عدد من النساء. وما حدث في غمرين حدث في قري كثيرة في مصر ، في كفر شباس عمير وأبي زعبل ومدن طنطا والمحلة ودمياط ، ثم امتد إلي الصعيد حيث واجه الفرنسيون ثورة كبيرة بين جرجا وأسيوط وكذلك سوهاج وطهطا وغيرها. وكانت ثورات الأهالي تأخذ شكلين أساسيين ، وهما إما الهجوم علي الحامية الفرنسية المرابطة في القرية أو المدينة ، أو التربص بكتائب الفرنسيين المتوغلة في الأقاليم والمارة بالقري والمدن علي الطريق. وكانت أسلحة الأهالي لا تتعدي البنادق والمسدسات الشوم والحراب. وكانوا يخرجون بالآلاف لمقاتلة الفرنسيين في هذه المواجهات ، وما أن تسمع القري المجاورة بخروجهم حتي ترسل النجدة من الرجال والعتاد لنصرة إخوتهم المجاهدين البررة. وفي كثير من الأحيان كانت الغلبة العسكرية للفرنسيين بفضل تفوقهم العسكري وتنظيم صفوفهم ، وكانت وسيلتهم في ردع القري هو إحراقها ونهبها وقتل وأسر مقاتليها. وتمثلت أبشع صور الردع في ما حدث في قرية بني عدي في أسيوط ، فقد خرج أهلها يحملون السلاح ضد الفرنسيين في 18 أبريل 1799م ، وتحصنوا بأسوار القرية يريدون رد القوات الفرنسية عنها ، فلقي الفرنسيون مقاومة لم يلقوا مثلها في غيرها من القري ، فلجأوا إلي حرق القرية بأكملها وضربها بالمدافع ، حتي أن الجنرال بارتييه رئيس أركان حرب الحملة الفرنسية أورد في مذكراته الآتي" أصبحت بني عدي أكواماً من الخرائب ، وتكدست جثث القتلى في شوارعها ، ولم تقع مجزرة أشد هولاً مما حل ببني عدي "وقدر عدد القتلى من جانب الأهالي بحوالي ألفي قتيل". من أجل ذلك ، اتخذت محافظة أسيوط يوم الثامن عشر من أبريل عيداً قومياً لها تكريماً لشهداء بني عدي وتشريفاً لمقاومة أسيوط للاحتلال الفرنسي عام 1799م. واتفق كثير من المؤرخين علي أن صعيد مصر ظل مستقلاً نسبياً ، ولم يستطع الفرنسيون إخضاعه كاملاً حتي رحلوا عن مصر 1801م.).هـ.

ونناقش آفة أخرى هي التعصب للقبيلة حيث تحتل مكانة كبيرة في نفوس الكثيرين من أبناء الصعيد! يصف الأستاذ خالد اسماعيل محمد التعصب القبلي ويصفه بأنه مرض الصعيد المزمن فيقول: (التعصب هو التشدد وعكسه التسامح ، والتعصب القبلي هو نصرة القبيلة وأبنائها سواء كانوا علي حق أو علي باطل ، وسواء كانوا ظالمين أو مظلومين. وللتعصب أنواع كثيرة ؛ فمنه ما هو ديني ومذهبي وعرقي ورياضي وغيرها ، والمتأمل لأحوال صعيد مصر يجد أن المشكلة الرئيسية التي تقف حائلا بين أبناء الصعيد والتقدم والمستقبل المنشود هي مشكلة التعصب القبلي. فهو أكثر أنواع التعصب انتشارًا وتأثيرًا في المجتمع ، وهو المرض الذي استشري في جسد المجتمع ، ولا بد من التصدي له وعلاجه قبل فوات الأوان ، ولا مبالغة في ذلك. ومن خلال قراءاتي للواقع المجتمعي المحيط وبالتحديد في مركز البلينا وبرديس استطعت الوقوف علي بعض مظاهر وأسباب هذه المشكلة. هناك مظاهر عديدة للتعصب القبلي ، مثل: مناصرة أي فرد من أبناء القبيلة بصرف النظر عن كونه علي حق أم علي باطل. إعلاء اسم القبيلة في كل المناسبات ؛ مثلا في المسيرات التي يتجمع فيها شباب القبيلة ويجوبون شوارع البلدة ويهتفون باسم القبيلة علي نغمات المزمار البلدي وقرع الطبول ، وهذه الظاهرة قد قلت

بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة ، وأيضًا يتضح ذلك في الذهاب لتقديم التهنئة في الأفراح أو تقديم واجب العزاء ؛ حيث يدخل كبير العائلة متقدما ومفتخرًا وخلفه أبناء قبيلته ، وأغرب ما في الأمر أن كثيرًا ممن يذهبون مع أقاربهم لتقديم واجب العزاء أو التهنئة لا يعرفون صاحب المناسبة ، فهم – ببساطة – لم يأتوا تقديرًا لصاحب المناسبة وإنما أتوا من أجل القبيلة أو من أجل التعصب القبلي الذي أصيبوا به منذ الصغر! ، وأيضًا حينما يصل أحد أبناء القبيلة إلي مركز مرموق أو حصل علي درجة علمية كبيرة فتجد القبيلة تتحدث ليلا ونهارا عن هذا الإنجاز وينشرون ذلك في الإذاعة المحلية ، وتتعجب عندما تعلم أن صاحب الإنجاز نفسه لا تربطه بالقبيلة إلا الاسم فقط وبأنه ترك البلدة والقبيلة ويعيش في الخارج أو في محافظة أخري. المسميات القبلية مثل: فلاح – هواري – عربي – شريف - الخ ، تلك المسميات التي تنشط من وقت لآخر ، حيث يستخدمها البعض – بقصد أو بدون - من أجل تحقيق أهداف معينة ، في الانتخابات علي سبيل المثال ، وهي كلها مسميات باطلة ، إن دلت علي شيء فإنما تدل علي الجهل والتخلف والبعد عن الدين. التعرف علي الشخص والحكم عليه من خلال قبيلتة ؛ فعندما يتعرف عليك شخص يسألك (أنت من بيت من؟) وبذلك يتعرف عليك ويحكم عليك من خلال معرفته بقبيلتك في نفس الوقت بصرف النظر عن شخصيتك وأخلاقك وسلوكك. التفاف القبيلة حول مرشحها لمجلس الشعب ودعمه بشتي الوسائل ؛ فإذا ترشح شخص من القبيلة في أي انتخابات تجد أبناء القبيلة في الخليج يرسلون الأموال اللازمة للدعاية والمصاريف ، وأيضًا بصرف النظر عن شخصية المرشح ومدي صلاحيته لهذا الترشيح ، فهم لا يرسلون أموالهم الي هذا الشخص ، وإنما يرسلونها إلي القبيلة نتيجة للتعصب الذي يعانون منه. الثأر ؛ حيث يساعد التعصب القبلي علي إشعال الفتن والمشكلات بين القبائل ، ويحصد أرواح أبرياء قد لا يكون لهم ذنب إلا أنهم أقارب للقاتل أو المقتول. ومنشأ التعصب القبلي هو التعصب الفكري ؛ أي أن أتعصب لرأيي وفكري فقط ولا أقبل حوارًا ولا نقاشًا طالما سيكون مخالفًا لرأيي وموقفي المسبق. والتعصب القبلي له تاريخ طويل منذ عصر الجاهلية ؛ حيث كانت القبيلة هي المحور الذي يدور حوله الجميع ، وعندما يظهر شاعر في القبيلة يقيمون الأفراح لأن هذا الشاعر سيروي أمجاد القبيلة ويعلي من قدرها أمام القبائل. إن أسباب التعصب القبلي مرتبطة بشكل كبير بأساليب التربية الخاطئة التي يتبعها الآباء والأمهات مع أبنائهم. سوء النظم التعليمية المتبعة منذ سنين ، وهو موضوع يطول شرحه لأنه يتعلق بالمناهج التعليمية ، وبالمعلم وشخصيته وثقافته ، وبالإدارة المدرسية ومدي اتباعها للنظم الديمقراطية في الإدارة ، والمحزن أن التعليم في مصر يعاني أشد المعاناة ، وبعض المعلمين يساعدون علي نشر التعصب نتيجة لإصابتهم بمرض التعصب منذ الصغر ؛ فالطفل يرضع التعصب قبل دخوله إلي المدرسة ، ويذهب للمدرسة ويتلقى العلم والمعرفة لساعات قليلة! وفي المقابل يستمر في تعصبه نتيجة وجوده داخل إطار القبيلة ، والذي لا يجب الخروج منه. هكذا ينشأ الفرد. ضعف دور المتعلمين (غير المتعصبين) والمثقفين في المجتمع ، فنجد كبير القبيلة يكون بالسن وليس بقدر العلم والمعرفة ، وأذكر أن أحد المتعلمين ذكر لي أن شيوخ وكبار قبيلته نهروه بشدة عندما أبدي رأيه في أمر كانوا يتناقشون فيه وقالوا له بأن يسكت وقال له كبيرهم (ماذا تفهم أنت؟) ، فالمتعلمون بشكل عام والمثقفون – علي قلتهم – يؤثرون الابتعاد عن التعصب ولكن لا يواجهونه. النظام الأبوي في التعامل ؛ وهو نظام يقوم علي حب النفوذ والسيطرة وفرض الرأي ، فمن المعروف أن المجتمع الصعيدي يعلي من شأن كبير الأسرة ، والذي يتمثل غالبا في الأب والذي يمتلك سلطة مطلقة ؛ فكل كلامه ينفذ حتي إن كان خطأ ولا يقبل النقاش ، كل ذلك يرتبط - بشكل أو بآخر – بالتعصب القبلي. فعلي سبيل المثال وقوف القبيلة بجانبه إذا تشاجر

مع شخص ما أو قبيلة ما، أنه سيجد من يسانده في المواقف المختلفة. كانت هذه بعض مظاهر وأسباب التعصب القبلي ، يتبقى لنا أن نبحث ونتحدث عن حلول لهذه المشكلة ، وعلاجًا لهذا المرض. وفي النهاية أريد أن أسأل سؤالا وأتمني أن تجدوا له إجابة. لماذا لا يوجد تعصب قبلي في المدن وفي المناطق الراقية؟!).هـ. وأنا أردتُ بهذه المقدمة الطويلة الحديث عن الصعيد من الداخل ليدرك الناس جمال الصعيد بطبيعته!)

هنيئـــــا لأهـــــل الصـــــعيد الوصـــــولْ ... وبشـــــرى الصـــــعود الثنـــــاءُ الجميـــــلْ

وصـــــــــلتمُ لقمـــــــــة أمجـــــــــادكم ... وبـــــارك ربـــــي اجتهـــــادَ العقـــــول

ونلـــــتم ـ مـــــن العـــــز ـ أعلـــــى الـــــذرى ... وبـــــان لأهـــــل المُضِـــــيِّ الســـــبيل

وحققـــــتمُ النصـــــر فـــــي ســـــاحةٍ ... وكـــــم أســـــرجتْ للنـــــزال الخيـــــول!

وشِـــــدتم صـــــروحَ المعـــــالي ، لـــــذا ... أبـــــاركُ ـ بالشـــــعر ـ أحلـــــى الوصـــــول

وهـــــذي الحضـــــارات مـــــن صـــــنعكم ... تنـــــالُ الرضـــــا ، وتحـــــوز القبـــــول

حقيقـــــون أنـــــتم بكـــــل العـــــلا ... ومجـــــدُ الغطـــــاريف لـــــيس يـــــزول

ففـــــي كـــــل عِلـــــم لكـــــم حِصـــــة ... عـــــن الخـــــوض فيهـــــا حـــــديثي يطـــــول

وفـــــي كـــــل فكـــــر بلغـــــتم مـــــدىً ... لـــــه ـ فـــــي المخـــــاليق ـ لـــــيس مثيـــــل

وفـــــي كـــــل فـــــن مبـــــاح لكـــــم ... عطـــــاءٌ كمثـــــل انهمـــــار الســـــيول

أراكـــــم وصـــــلتم بـــــرغم العِـــــدا ... فـــــنعم السُـــــراة! ونعـــــم الوصـــــول!

ونعـــــم الحُمـــــاة لإســـــلامنا! ... ونعـــــم المقيمـــــون هَـــــديَ الرســـــول!

ونعـــــم البُنـــــاة لأمجادنـــــا! ... وتـــــاريخهم شـــــاهدٌ بالـــــدليل

وســـــل ثـــــورة الفكـــــر مَـــــن قادهـــــا ... ومـــــازال فـــــي العـــــالمين يصـــــول

وســـــل نهضـــــة العِلـــــم مَـــــن شـــــادها ... وأصَّـــــل للمعضـــــلات الحلـــــول

وســـــل ذروة المجـــــد مـــــن نالهـــــا ... ومـــــازال فـــــي كـــــل مجـــــد يجـــــول

صـــــناديد أهـــــل الصـــــعيد أتـــــوْا ... بعـــــز ـ لأهـــــل المعـــــالي ـ أثيـــــل

أحبـــــوا العلـــــوم ، وكـــــانوا لهـــــا ... حمـــــاة ، فـــــنعم الحمـــــى والمُيـــــول!

وشـــــارك كـــــلٌّ بمـــــا اســـــطاعه ... فكـــانوا بـــذلك مـــن خيـــر جيـــل

وسِـــفرُ التـــراجم كـــم خصّـــهم ... بمـــدح ، وأوردَ أحلـــى النقـــول!

وأهـــل الضـــلالات أزرَوْا بهـــم ... ولـــم يـــذكروهم بصـــيتٍ نبيـــل

ألا إن هـــذا هـــوىً يُـــزدرى ... وعـــن جانـــب الحـــق هـــذا عـــدول

وحقـــدٌ تمكّـــن مـــن أنفـــس ... تحـــب الضـــلال ، وتهـــوى النكـــول

فمـــا بـــين مســـتهزئ مُقـــرفٍ ... يـــدق علـــى السُـــخريات الطبـــول

وثـــان ينـــاور لا يرعـــوي ... أحاجيـــه داءٌ علينـــا وبيـــل

وثالـــث أهـــل الخنـــا كـــاذبٌ ... إلـــى مـــا يُـــدَني النشـــامى يميـــل

ورابعهـــم كاتـــبٌ ســـافلٌ ... علـــى المجـــرمين وديـــعٌ ذليـــل

ولكـــن علينـــا كمثـــل الـــردى ... وفـــي قلبـــه بـــات يغلـــي الـــذحول

وخامســـهم - فـــي التجنـــي - فتـــىً ... يواجـــه - بالترّهـــات - الفحـــول

ويرســـم سادســـهم لوحـــة ... ويصـــبغها بالخِـــداع الكليـــل

ويكتـــب ســـابعهم قصـــة ... وتطفـــح بـــالزيف كـــل الفصـــول

وأهـــل الصـــعيد علـــى عـــزهم ... وبـــالغيظ يكبـــت أشـــقى عـــذول

فـــلا يحملـــون علـــى ســـاقطٍ ... بمـــا يدّعيـــه غبـــيٌّ جهـــول

ولا يعتبـــون علـــى حاقـــدٍ ... فتـــركُ (الهلافيـــت) يشـــفي الغليـــل

وليســـوا يلومـــون مســـتهزئاً ... فلـــوْمُ المهازيـــل حمـــلٌ ثقيـــل

ســـيحكم - بـــين الـــورى - خـــالقٌ ... فهـــل حكـــمُ ربـــك عنـــه بـــديل؟

فشـــاتمُ أهـــل الصـــعيد غـــداً ... يحاســـبه الله ربـــي الجليـــل

وينـــدم أنْ لـــم يكـــن منصـــفاً ... ويبكـــي ، ولـــيس يفيـــد العويـــل

وســـوف يُكـــال لـــه بالـــذي ... بـــه - بيننـــا اليـــوم أضـــحى - يكيـــل

لبيك يا ابنة العم! (ست البنات)

(تزوّج ، وكان له من زوجته الأولاد والبنات. وفي إحدى رحلاته لبلدته في الصعيد عرضتْ عليه (ست البنات) ابنة عمه الزواج منهما. ورغم غِناها وصِباها إلا أنه ـ لقدر من الله تعالى ـ فاتها قطارُ الزواج ، وجاوزت الثلاثين من العمر. فوافق ذلك الصعيدي الشهم على مرادها غير عابئ بما تخبئه أيامه من المفاجآت على يد زوجه (أم الأولاد). إنما هو أحسن النية لله عز وجل. ودعاه أن يُزلل العقابيل والعراقيل ، ويجعل زواجه برداً وسلاماً على زوجه. وتحت عنوان: (العدل بين الزوجات) قال الأستاذ إحسان العتيبي ما نصه: (لا شك ولا ريب أن الله تعالى لم يترك للزوج ـ ولا سيما المعدّد ـ حبله على غاربه ، بل أوجب عليه واجبات لإصلاح نفسه وإصلاح بيته ، فبتركها تحصل الفوضى مع الإثم وتنقطع أواصر المحبة بين الزوج ونسائه ، وقد تخرب من جرّائه البيوتُ التي سعى الإسلامُ لإقامتها بتشريع التعدد. وهذه الواجبات هي: النفقة والمبيت والإيواء. عن عائشة رضي الله عنها قالت في قوله تعالى: {وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً} أنزلت في المرأة تكون عند الرجل ، فتطول صحبتها فيريد طلاقها ، فتقول: لا تطلقني وأمسكني وأنت في حِل من النفقة عليَّ والقسْم لي ، فذلك قوله: {فلا جناح عليهما أن يُصلحا بينهما صلحاً والصلح خير}. رواه البخاري ومسلم. قال مجاهد: لا تتعمدوا الإساءة. بل الزموا التسوية في القسم والنفقة ، لأن هذا مما يُستطاع.أهـ. "تفسير القرطبي". قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وأما العدلُ في النفقة والكسوة فهو السُنة أيضاً اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان يعدل بين أزواجه في النفقة كما كان يعدل في القسمة.أ.هـ. "مجموع الفتاوى" (269/32). وقال ابن القيم رحمه الله: (وكان يُقسم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بينهن في المبيت والإيواء والنفقة.... ولا تجب التسوية في ذلك ـ أي الحب والجماع ـ لأنه مما لا يملك).أ.هـ. "زاد المعاد" (151/1). قال الحافظ: فإذا وفّى لكل واحدة منهن كسوتها ونفقتها والإيواء إليها: لم يضرّه ما زاد على ذلك من ميل قلب أو تبرع بتحفة.أهـ."الفتح" (391/9).هـ. وتزوج صاحبنا زوجه الثانية ابنة عمه وكانت جامعة بين خصال خمس ما اجتمعن في الأولى قط ، وقل أن يجتمعن في امرأة: (الدين والصبا والأدب والمال والقرابة لكونها ابنة عم). وكان زواجاً موفقاً ، رغم ما أحدث من مشاكل. فالنبي صلى الله عليه وسلم رغم عداوة قريش وإيذائها للمؤمنين ، لما جاءه أبو سفيان يطلب منه الاستسقاء لم يرفض لحسن خلقه ، وشهامته ، ورغبته في هدايتهم ، فإنَّ الشهامة ومكارم الأخلاق مع الأعداء ، لها أثر كبير في ذهاب العداوة ، أو تخفيفها. والشهامة من مكارم الأخلاق الفاضلة. إنها من صفات الرجال العظماء. تشيع المحبة في النفوس. تزيل العداوة بين الناس. فيها حفظ الأعراض ، ونشر الأمن في المجتمع. إنَّها علامة على علو الهمة ، وشرف النفس. موانع اكتساب صفة الشهامة: قسوة القلب. الأنانية ، وخذلان المسلمين ، واللامبالاة بمعاناتهم: ورحت وعلى بحري البسيط أتغنى بهذا وأسطر شعراً أهنيء به العريس إذ هو أحد أصحابي من الصعيد. وتخيلته وهو يلبي طلب ابنة عمه ست البنات بالزواج منها بكل حب.)

(سِـــت البنـــات) ، أنـــا للأمـــر أمتثـــلُ ... وســـوف أشـــكرُ للمـــولى ، وأبتهـــلُ

إن الـــزواج ـ بـــذات الـــدين ـ مَنقبـــة ... تحْيـــي الفـــؤادَ الـــذي بالشـــرع يتصـــل

وذات مـــال يُعـــينُ المـــرء فـــي زمـــن ... المـــالُ عنـــد خزايـــا أهلـــه (هبـــل)

وذات حُســـن لـــه فـــي الـــنفس حِصّـــته ... والقلـــبُ يُعجبُـــه الجمـــالُ والغـــزل

وذات جـــاهٍ ، وهـــل كـــالعلم منزلـــة؟ ... وبالعمومـــة دومـــاً يُضـــرب المثـــل

وبعـــدُ بكـــرٌ ، لهـــا بـــين البنـــات شـــذىً ... وفـــي الفـــؤاد لهـــا الحنـــينُ والأمـــل

وبعـــد تطلـــب منـــي دونمـــا خجـــل ... لمثـــل هـــذا دمـــوعُ العـــين تنهمـــل!

كيـــف انشـــغلتُ إلـــى أن أشـــهرتْ طلبـــاً؟ ... والحـــق أنـــيَ - بالأســـفار - مُشـــتغل

كيـــف اهتممـــتُ بـــأمري دون كُربتهـــا؟ ... هـــل هـــذه – يـــا تـــرى - الأخـــلاقُ والمُثَـــل؟

هـــل التعـــددُ يـــا أقـــوامُ مَخبثـــة؟ ... أم سُـــنة أصـــبحت فـــي النـــاس تبتـــذل؟

هـــل الـــزواجُ مـــن الأخـــرى مُراهنـــة ... علـــى الضـــياع كمـــا يـــرى الألـــى سَـــفلوا؟

أم أنـــه خـــوضُ مَـــن بالـــدين قـــد لعبـــوا ... وفريـــة صـــاغها فـــي النـــاس مَـــن هزلـــوا؟

إن التعـــــدد شـــــرعُ الله يـــــا همـــــجٌ ... والشـــرعُ عنـــد تقـــاة النـــاس يُمتثـــل

(ســـت البنـــات) أرانـــي لســـتُ معتـــذراً ... إنـــي بمـــا قـــد عرضـــتِ اليـــوم أحتفـــل

أجِـــلّ شـــأنك فـــي آفـــاق عـــاطفتي ... فـــذي مفاجـــأة ، والعقـــلُ منـــذهل

أنـــت الكريمـــة فـــي أهـــل وفـــي بلـــدٍ ... وإن أيامنـــــا يـــــا غـــــادتي دول

ولـــم تغَيـــرْك أيـــامٌ تمـــرّ بنـــا ... والـــدهرُ بـــالمرء رغـــم الأنـــف يرتحـــل

مضـــى القطـــار ، ولـــم يأخـــذ مســـافرة ... وتركُـــه لـــك أمـــرٌ ســـيئ جَلـــل

والشـــائعاتُ علـــى مـــا قلـــتُ شـــاهدة ... يَحيكُيهـــا فـــي الـــدجى الأوبـــاشُ والســـفل

يُلفقـــــون أغاليطـــــاً مُزيفـــــة ... والله يشـــهد مـــا قـــالوا ومـــا فعلـــوا

وأنـــت ثابتـــة كـــالطود راســـخة ... لا تعبئـــين بمـــا جُهـــالهم عملـــوا

كمـــالُ دينـــكِ أســـمى مِـــن تخرّصـــهم ... ونبـــلُ أصـــلكِ بـــالأخلاق مكتمـــل

(ســـت البنـــات) عليـــك العـــينُ باكيـــة ... إذ العنوســـة عـــيشٌ كلـــه خلـــل

مذمومـــة منـــذ عـــاش النـــاسُ فـــي أسَـــر ... مهمـــا تعـــددتِ الأســـبابُ والعِلـــل

هـــي الفـــراغ سَـــرتْ بلـــوى مصـــائبه ... ولـــيس يمـــدحُها يومـــاً مَـــن اعتـــدلوا

هـــي الجحـــيمُ لأنثـــى تشـــتهي رجـــلاً ... علـــى شـــريعة رب النـــاس ذا الرجـــل

هـــي الســـعيرُ تعـــاني منـــه صـــالحة ... مهمـــا تحملـــتِ البلـــواءَ تشـــتعل

هـــي الـــدمارُ وإن حلّـــت مســـاربُه ... بـــئس المســـاربُ والأنحـــاءُ والســـبل!

هـــي الضـــياعُ زهـــا للمعجبـــات بـــه ... ولـــم تجـــيء للـــورى - كـــلا - بـــه الرســـل

هـــي الهـــواجسُ راجـــت ســـوقُ ســـطوتها ... وحولهـــا يكثـــر النقـــاشُ والجـــدل

هـــي المَـــرارُ ، وللبِنـــا حلاوتـــه ... هـــل يســـتوي الشـــيحُ فـــي الطعـــوم والعســـل؟

هـــي الضـــلالُ ، وفـــي البِنـــا اســـتقامتنا ... هـــل الاســـتقامة يُطفـــي نورَهـــا الضـــلل؟

(ســـت البنـــات) هبينـــي قلـــت: واحـــدة ... تكفـــي: فتلـــك لهـــا فـــي خـــاطري شـــغل

ولســـت أقـــوى علـــى نيـــران غيْرتهـــا ... وقـــد يكـــون مـــن العنيـــدة الزلـــل

ولا أريـــد لمـــن أعـــول تفرقـــة ... مـــاذا يقولـــون عـــن أب إذا ســـئلوا؟

ولا أحـــبّ مـــن الأعـــدا شـــماتتهم ... فالعـــذلُ مِـــن جانـــب الأعـــداء مُحتمـــل

ولا أودّ حيـــاة كلهـــا كـــدرٌ ... أمَلهـــا ، ودمـــار العيشـــة المَلـــل

فســـامحيني ، وأنـــتِ اليـــوم مُخجلتـــي ... ولـــن يُغيّـــر مـــن إجـــابتي الخجـــل

فلتعـــذريني إذ الســـؤالُ فاجـــأني ... وإننـــي - عنـــدما أجيبُـــه - بطـــل

وبالصـــراحة تُجْلـــى كـــل غاشـــيةٍ ... إن الـــذي يُفســـد القرابـــة الختـــل

وأنـــت أخبـــرُ بـــالظروف تخنقنـــي ... ولـــيس يقـــوى - علـــى مُهمّتـــي - الجَمـــل

بيـــتٌ وزوجٌ وأعبـــاءٌ وعائلـــة ... ينهـــار - مِـــن حَملهـــن - التـــلّ والجبـــل

(ســـت البنـــات) هبينـــي بـــتّ مُعتـــذراً ... عـــن الـــزواج كمـــا يحـــتجّ مَـــن جهلـــوا

خـــوفَ المشـــاكل يحتـــار الحلـــيمُ بهـــا ... يقـــولُ: إنْ عظـــم الـــبلاءُ مـــا العمـــل؟

والضـــرتان شِـــجارٌ لا حـــدود لـــه ... ولا حلـــول لهـــا جـــدوى ولا حِيـــل

إلا الرحيـــل عـــن البيتـــين إذ جمَعـــا ... كيـــداً يضـــيق بشـــيء منـــه مُرتحِـــل

فهـــل ســـتقبلُ بنـــتُ العـــمّ معـــذرتي؟ ... وهـــل سيصـــحب حكـــمَ الغـــادة الوجـــل؟

أم أنهـــا ســـتقول: الصـــبّ يَكرهنـــي ... وإنْ تزوجتـــــه نهـــــايتي الفشـــــل؟

ولـــن يكـــون لنـــا مســـتقبلٌ غـــردٌ ... بـــل إن عاقبـــة البنـــاء بـــي المَيَـــل؟

توســـمتُ فـــيَّ خيـــراً لا يُضـــاهئه ... خيـــرٌ ، وتـــزعمُ أن الفـــرحَ يكتمـــل

لكنهـــا فجعـــت فـــي ابـــن العمومـــة لا ... يريـــدها زوجـــة ، واســـتنوق الجمـــل

(ســـت البنـــات) جـــزاكِ الله مَكرمـــة ... ولا دهـــاكِ الأســـي - يومـــاً - ولا الغِيَـــل

فقـــد أعـــدْتِ لنـــا ذكـــرى (خـــديجتنا) ... يـــوم انتقـــتْ ســـيداً مـــا مثلـــه رجـــل

(محمـــدُ الحـــق) ، خيـــرُ الخلـــق ســـيدُهم ... وخيـــرُ مَـــن لرضـــا ملـــيكهم عملـــوا

وافقـــتُ يـــا غـــادتي مهمـــا الصـــداقُ غـــلا ... وقـــدوتي - فـــي زواجـــي - الســـادة الأوَل

فأبشـــري ، ســـيكون الحـــق رائـــدنا ... والنصـــر سِـــترٌ علـــى الـــزوجين ينســـدل

إن المليـــك علـــى الأعـــداء ينصـــرُنا ... والله منقـــذنا مِـــن حِقـــد مَـــن جهلـــوا

لبيـــكِ لبيـــكِ ، لا تخشَـــي ضـــغائنهم ... فـــالرب ناصـــرُ مَـــن عليـــه يكتـــل

لبيـــكِ لبيـــكِ ، لا تأسَـــي ولا تهنـــي ... مـــا كـــان لله فهْـــو اليـــوم متصـــل!

يا ابن عم لا تتركنا

(رحل عن دياره ذلك الموفق الصالح ، ثم عاد بعد سفر طال عقداً من الزمان. فإذا ببُنيات عمّه الوحيد وقد صرن عرائس. وفي ظل التردي الذي تعيشه المجتمعات ، فرطن في جنب الله ، ولم يتعلمن الإسلام! شأنهن في ذلك شأن ملايين البنات والأبناء في الأرض اليوم! فلمّا زار ذلك الموفق عمه ، أقبلن البنات يسلمن عليه وعلى زوجه. فأدرك ما هن عليه من البعد عن تعاليم الدين. وهاله تأثرهن الزائد عن الحد بالجاهلية وأهلها. فراح يعرضُ عليهن التعاليم والأحكام. وأحسّت البُنيات بتقصيرهن الشديد وتفريطهن في جنب الله. وأحد المفاتيح في تربية وبناء النفس أشار إليه الأستاذ الداعية الفذ عبد الله بن سعيد آل يعن الله في محاضرة له تحمل العنوان ذاته هو (المفتاح الثاني عشر / الشعور بالتقصير) يقول ما نصه: (لقد مات عند كثير من الناس الشعور بالتقصير ، حتى ظنوا بأنهم على خير عظيم ، فغياب الشعور بألم الذنوب الصغيرة مثلاً ، وسيلة كبرى إلى اقتراف ذنوب كثيرة! والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: { إياكم ومحقرات الذنوب فإنها إذا اجتمعت على العبد أهلكته}. وقس على ذلك العبادات ، وطلب العلم ، وإصلاح النفس ، والاهتمام بالدعوة. ومهما كان الإنسان ، ومهما كانت همته ، إلا أنه دائماً يُشْعِرُ نفسه بأنه مقصر ، وأنه مفرِّط ، وليس ذلك من أجل اليأس والإحباط ، وإنما من أجل الرُّقي ببناء النفس ، وإعطائها الاهتمام الأكبر. ومن الوسائل العملية التي تساعد الإنسان على الشعور بالتقصير ما يلي :- * صحبة أصحاب الهمم ، لأن ذلك يُفضي مباشرةً إلى الاقتداء ، واكتشاف الضعف الذي لديك ، وهذا مؤشر قوي في اكتشاف نفسك من ناحية التقصير. * معاتبة النفس عند ضياع الوقت. فعاتب نفسك المرة الأولى والثانية والثالثة والرابعة. وليكن العتاب الأخير أقوى من الذي قبله ، حتى تتهذب نفسك من حب الفوضوية في التعامل مع الأوقات. وقد أعجبني ما قاله ابن القيم رحمه الله: (وجميع المصالح تنشأ من الوقت ، فمتى أضاع الوقت لم يستدركه أبداً). * إذا عملت العمل (أياً كان العمل) فلا تنظر له بأنه قد وصل إلى درجة الكمال ، بل أشعِر نفسك ، بأنك لم تبذل طاقتك في إنجازه على الوضع الصحيح ومن ذلك مقارنته بأعمال شبيهه له في المضمون ، وأفضل منه في الكيف. * تذكر الآثار السلبية التي تنتج من عدم الشعور بالقصور وذلك بمعرفة السلبيات التي اختلجت هذا العمل. * معرفة طبيعة النفس ، وتكيفيها على الأعمال التي ينبغي أن تمارس).هـ. فأخذن البنيات يسألن ابن عمهن وزوجه حتى منتصف الليل وهو صابرٌ محتسب. وأخذتْ زوجه تبدع في الإجابات وعرض حقائق الإسلام وأحكامه بطريقة زكية. وفي النهاية أدركت البنات أنهن غريقات ، وأن على ابن العم هذا وزوجه انتشالهن. فرُحن يُكثرن الإلحاح بأن لا يتركهن للضياع. وأن أسئلة كثيرة لا تزال تعتمل في الأذهان والقلوب. ولا بد من الإجابة عليها. وإذن فزيارة واحدة لا تكفي! وإنما كان الطمع في سلسلة من اللقاءات المتتابعة ، تلك التي الهدف منها التعليم والتوجيه! ووعدت البنات بتجهيز الأسئلة والاستفسارات مسبقاً! فأخذتني رقة ذلك فأنشدت:)

سـنطرحُ - فـي الملتقـى - الأسـئلة ... مُصـدّرة بسـنا البسـملة

ونبـذلُ - للضـيفِ - إكرامـه ... فـإن لـه - عنـدنا - منزلـة

ونأمـلُ أن يسـتجيب النـدا! ... محبتنـا - فـي الله - أقـوى صـلة

ونرتقـــبُ الخيـــرَ مِـــن مُحســـن ... إلـــى مَـــن يُعـــانين مُـــرّ البلـــه!

فنتـــرعُ كـــأسَ الســـؤال رجـــا ... عســـاك تُجيـــبُ علـــى الأســـئلة!

لقـــد ينفـــعُ العِلـــمُ أربابـــه ... فبـــالعلم تنتحـــرُ البلبلـــة

ونحـــن الجهـــولاتُ ، فـــارفقْ بنـــا ... فمســـألة - بعـــدها - مســـألة

جهلنـــا تعـــاليمَ إســـلامنا ... وبـــئسَ الحماقـــة والمَجهلـــة!

وحُزنـــا الشـــهاداتِ تُـــزري بنـــا ... وأحوالنـــا فجّـــة مُخجلـــة!

ولـــم نمتثـــلْ هَـــدْيَ قرآننـــا ... ولـــم نـــدر منـــه ســـوى البســـملة

عـــدِمنا - علـــى الـــدرب - أهـــل الهـــدى ... وبؤنـــا بأوجاعنـــا المثقلـــة

وطالـــت ليـــالي الأســـى والشـــقا ... علينـــا بأســـتارها المُســـدلة

ولمّـــا نحـــسّ بأوضـــاعنا ... وكانـــت - إلـــى حتفنـــا - مُوصـــلة

رحلـــتَ وخلفتنـــا عُصـــبة ... هنالـــك - فـــي الغـــي - مسترســـلة!

وشـــط الرحيـــلُ ، ولـــم ننتبـــهْ ... فســـرعة أعوامِنـــا مُذهلـــة

لقـــد مـــرّ عِقـــدٌ كـــريح الصـــبا ... ونحـــن قطعنـــا بـــه مرحلـــة!

إلـــى أن أتيـــت فبصّـــرتنا ... وأنهيـــت مـــا كـــان مِـــن مهزلـــة

عـــروسٌ ، ولـــم تـــدْر مـــا دينهـــا ... ألا إنهـــا النكســـة المعضـــلة!

ألا يـــا ابـــنَ عـــمّ تصـــدّقْ علـــى ... صـــبايا عمـــدْن إلـــى الحوقلـــة!

بُنيـــاتُ عمّـــك تُقـــن إلـــى ... لقـــاءٍ يـــؤدّي إلـــى سلســـلة!

تُعلمنـــا الحـــق مُسترشـــدا ... علـــى الحـــق أنفسُـــنا مُقبلـــة

رعـــاك المليـــكُ أخـــاً صَـــالحاً ... وجُنبـــت - عـــن بَـــذلك - المَبخلـــة

رفقاً بنفسك يا ابنة العم!

(تقدم لخطبة خزامى رجل على دين وتقوى. فعاب عليه أهلها دينه وتقواه. فحاولتْ معهم وفشلتْ. فوسطتْ ابن عم لها عُرف بالحكمة والرشد. فحاول مراراً وفشل. فأعاد الكرة عن طريق أناس آخرين ، ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل! وكان ابن عم محترماً أميناً منصفاً. حيث راح يوصيها بالصبر والاحتساب ، وخاصة أنها صغيرة ، وتجربتها في الحياة محدودة ، وخبرتها بالناس والرجال ليست بالقدر الذي تستطيع معه سبر أغوار الشخصيات. وإن قوماً لا يقبلون التقي النقي الورع ذا الخلق والدين زوجاً لابنتهم لخاسرون مفرطون ضائعون. ولست أدري هل بعد وصية النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – كلام لمتكلم وحجة لمحتج؟! (إذا جاءكم من ترضوْن دينه وخلقه فزوجوه. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير). إن الذي يحزن ويغم ويبكي العين والقلب معا هو زيادة نسبة العنوسة في الأخوات المؤمنات الموحدات. وأسأل الله أن يفرج كرباتهن ويقيض لهن الأزواج الصالحين الذين يصنعهم الله على عينه. المهم أنني أعجبت بحكمة ابن عمها ورشده ، وآليت على نفسي أن أصوغ كلامه شعراً ، فتخيلته يقول لها في عطف وحنان وحرص: رفقاً بنفسك يا ابنة العم. فأنشدت لخزامى تلك الأخت المحتسبة من البحر العروضي المجتث.)

تمهلـــــــــي يـــــــا خزامَـــــــــى ... ولا تطيلـــــــــــــي الكلامـــــــــــا

وأجملـــــــــــي ، وامنحينـــــــــــي ... مـــــــــع الجُفـــــــــاة الســـــــــواما

وجففـــــــــي ســـــــــيلَ دمـــــــــع ... جـــــــــرى ، وكُفّـــــــــي المَلامـــــــــا

ولا تزيـــــــــــدي المآســـــــــــي ... وســـــــــامحي مـــــــــن تعـــــــــامى

أبـــــــــوكِ أوغـــــــــر صـــــــــدري ... بـــــــــرفض خيـــــــــر الأيـــــــــامى

فقلـــــــــتُ: هـــــــــذا تقـــــــــيٌ ... ولـــــــــيس يغشـــــــــي الحرامـــــــــا

أتـــــــــى يريـــــــــد المَعـــــــــالي ... فصـــــــــن عفيفـــــــــاً تســـــــــامى

وزوِّج الشـــــــــــهمَ تـــــــــــؤجرْ ... أمـــــــــا ســـــــــألت (خزامـــــــــى؟)

فكـــــــــن رحيمـــــــــاً ، وأحســـــــــنْ ... ولا تـــــــــــرُدّ الهُمامـــــــــــا

تريـــــــــده البنـــــــــت زوجـــــــــاً ... فـــــــــلا تزدهـــــــــا ضـــــــــراما

وحبّهـــــــــا وفـــــــــق شـــــــــرع ... وذا يريـــــــــــد الســـــــــــلاما

وأنـــــــــت تفهـــــــــم قصـــــــــدي ... عســـــــــاك تمحـــــــــو الظلامـــــــــا

وقـــــــــد بَـــــــــذلتُ اعتـــــــــذاري ... وبعـــــــــــده الاحترامـــــــــــا

وشُـــــــــفعتي - اليـــــــــوم- أحـــــــــرى ... بـــــــــأن تزيـــــــــل الغمامـــــــــا

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – الصعيد مهد المجد والسعد

مسلسل	عنوان القصيدة	البحر	القافية	الصفحة
1	الصعايدة وصلوا! 1	الطويل	الشواردِ	2
2	الصعايدة وصلوا! 2	البسيط	وما حصلوا	16
3	الصعيدي عندما يعف!	الكامل	دليلا	29
4	امرأتان من صعيد مصر!	الوافر	والنجادِ	33
5	القاضي المصري الصعيدي الرحيم (هشام الشريف)	الكامل	المظلوما	45
6	لأنها من الصعيد!	الكامل	وبطاحِ	51
7	ليس هذا من صعيد مصر!	المضارع	مستبينة	53
8	وصول أهل الصعيد!	المتقارب	الجميلْ	54
9	لبيكِ يا ابنة العم!	البسيط	وأبتهلُ	72
10	يا ابن العم لا تتركنا!	المتقارب	البسملة	76
11	رفقاً بنفسكِ يا ابنة العم!	المجتث	الكلاما	77

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (الصعيد مهد المجد والسعد)!

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

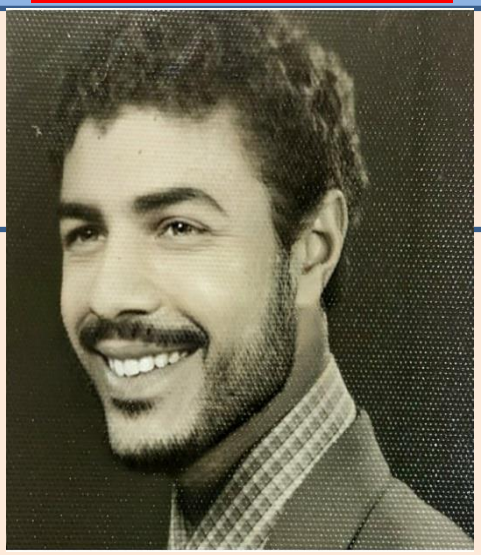

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض!

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والبطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
6 - Conversation Skills
7 - Correction Exercise (1-100)
8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
9 - Grammar Tasks (1-77)
10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond’s Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!